القيم الأخلاقية
المرتبطة بعمل رجل الأمن

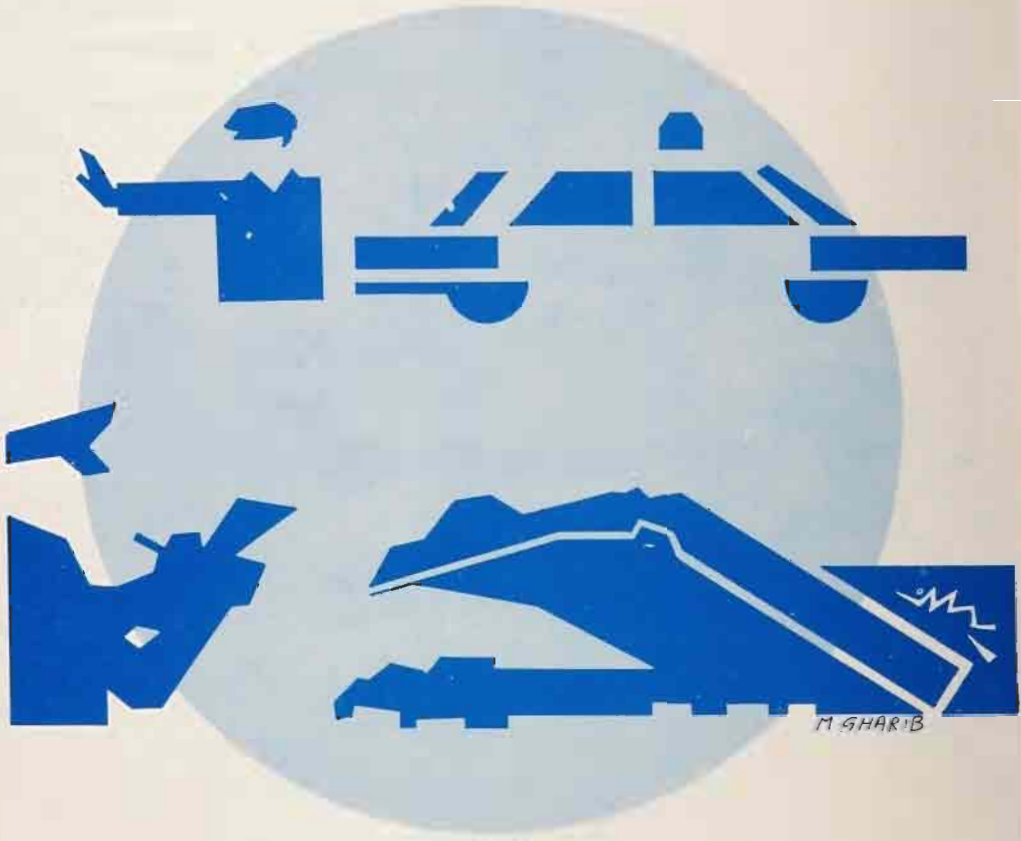

دار النشر
بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب
بالرياض

أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية
إدارة المطابع
نسخة الأرشيف
الرقم ٢/٢٧ التاريخ ١٤٠٨/٦/

القيم الأخلاقية
المرتبطة بعمل رجل الأمن

أبحاث الندوة العلمية الأولى
- الخطة الأمنية الوقائية العربية الثانية -

دار النشر
بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب
بالرياض

١٤٠٨هـ

حقوق النشر محفوظة للناشر

دار النشر
بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب
بالرياض

الرياض

١٤٠٨هـ [الموافق ١٩٨٨م]

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويـــــــات

التقديم بقلم الدكتور فاورق عبدالرحمن مراد ١١

ميثاق الشرف والقسم وضوابط الالتزام المهني بالقيم لرجل الأمن.

اللواء الدكتور حسين محمود ابراهيم ١٣

القيم الأخلاقية في ضوء الثقافة العربية والاسلامية.

الدكتور عبدالوهاب عبدالعزيز الشيشاني ٥٥

نسق القيم في المجتمع والتغير الاجتماعي.

الدكتور حسن الساعاتي ٩٧

القيم الاخلاقية لرجل الأمن بين حقوق الفرد ومصلحة المجتمع.

الدكتور ابراهيم زيد الكيلاني ١٢١

القيم الأخلاقية لجهاز الأمن وتطبيقاتها في مجالات العمل الأمني.

الدكتور التهامي نقره ١٦١

التقديـــــــم

تقع على كاهل رجل الأمن العربي مسئوليات جسام، ولا أقصد بتلك المسئوليات واجبات الوظيفة التي يؤديها رجل الأمن، لكن الذي أقصده مسئوليات أكبر وأعم، هي مسئوليات حمل تراث أجيال، وإرث حضارة كبرى، وحاضر تحوطه المخاطر، ومستقبل أمة بأكملها، هذه المسئولية هي موضوع كتابنا هذا والذي يشتمل على عدد من الأبحاث المتصلة بالقيم الأخلاقية في العمل الأمني في المجتمع العربي.

يتحدث اللواء الدكتور حسين محمود ابراهيم عن الدلالات البعيدة المستمدة من الحضارة العربية لبعض الشكليات المستقرة في عمل رجل الأمن، وبالذات يركز على ميثاق الشرف والقسم الذي يؤديه خريج الكلية الأمنية، وكذلك الالتزام المهني في العمل الأمني وضوابطه

ويتعمق الدكتور عبدالوهاب الشيشاني في مفهوم القيم وحسن الخلق كجزء من دراسة الأخلاق في الاسلام مبيناً أهمية هذا المبحث في الفكر الاسلامي وموضحاً في الوقت نفسه خصائص القيم الأخلاقية في المنهج الاسلامي الذي يحكم ليس فقط الأمة العربية بل والاسلامية جمعاء على تفاوت نتج عن تأثير الغزو الثقافي الأجنبي.

يطرح الدكتور حسن الساعاتي موضوع القيم على بساط التحليل، وفي ضوء نظريات التغير الاجتماعي، ويأصل ذلك في

إطار الثقافة العربية الاسلامية ويؤكد على أهمية تأثير القيم في السلوك الاجتماعي وضرورة عودة المجتمع المعاصر الى الكتاب والسنة. لاستلهام معايير تعديل السلوك والتحكم في التغير الاجتماعي.

بينما يوازن الدكتور ابراهيم زيد الكيلاني ما بين حقوق الفرد ومصلحة المجتمع والدور الذي يؤديه وتفرضه القيم الأخلاقية في العمل الأمني لتحقيق التوازن المنشود بينهما.

يختتم الدكتور التهامي نقره الطرح العلمي لهذه المسألة باظهار الدلالات التطبيقية في مجالات العمل الأمني في الوطن العربي لنظام القيم الأخلاقية ويتعدى حدود الدولة الى الحديث عن التعاون عبر الحدود في إطار عالم عربي متكامل.

فاروق عبدالرحمن مراد

ميثاق الشرف والقسم وضوابط الالتزام المهني بالقيم لرجل الأمن

اللواء الدكتور حسين محمود ابراهيم(*)

التمهيـــــد:

يحث الدين على مكارم الأخلاق، ويدعو الى التمسك بها، ذلك لأن الخلق الكريم هو عماد المجتمع قال تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[1]

ويقول الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هُمو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويدعونا المعلم الأول صلوات الله عليه بشتى الطرق والترغيب، الى التمسك بالأخلاق والاتصاف بحسن الخلق. فاذا كان الدين المعاملة، فان أساس المعاملات الأخلاق والقيم الأخلاقية «أفأدلكم على أقربكم من الله مجلسا؟ أحاسنكم أخلاقا».

وقد تكون الأخلاق صفات فردية يتمتع بها فرد دون آخر، وقد تكون أخلاقاً جماعية يلتزم بها كل فرد من الجماعة فاذا خرج عليها كان محلا لازدراء وتحقير ولوم الجماعة له

وجهاز الأمن ـ في أية دولة ـ هو جماعة من أفراد المجتمع الذين يعملون فيه، تظللهم مظلة الشرطة بقيمها وأخلاقياتها، فهم يتخلقون

(*) أكاديمية الشرطة. القاهرة. جمهورية مصر العربية.

١ سورة القلم. الآية: ٤.

بقيم وأخلاقيات هيئة الشرطة وتظلهم من فوق ذلك مظلة الاقليم أو الدولة ومن هنا فرجال الأمن يتمتعون:

- بالأخلاق الفردية: وتظلهم في ذلك مظلة الضمير ومراقبة الله.
- وبأخلاق الجماعة: وتظلهم في ذلك مظلة هيئة الشرطة.
- وبأخلاق المجتمع: وتظلهم في ذلك مظلة المجتمع.

وكل هذه الأنماط المختلفة من الأخلاقيات، انما تنبع من نبع واحد هو القيم الأخلاقية النابعة من الدين الحنيف، ثم بعد ذلك من العرف والتقاليد. ومن هنا فان علاقات رجال الأمن - فيما بينهم كأفراد في هيئة الشرطة - وعلاقاتهم بأفراد المجتمع هي مشاعر مشتركة ومتبادلة تمثل اتجاهاً مهنياً لايجاد المناخ الملائم للوصول الى أفضل حل، لما قد ينشأ بينهم من خلافات، وفي الوقت نفسه تمثل هذه العلاقة وسيلة تنفيذ الوظيفة[1].

فالعلاقة موقف يضم طرفين يجمعهما بعض الاهتمامات المشتركة، وهذه الاهتمامات هي الحياة اليومية بكل ما فيها من أمن ونظام وحياة ومعيشة حيث تتفاعل مشاعر الطرفين لتحقيق أهدافها[2]، فالعلاقة بين أجهزة الأمن وأفراد الشعب تحكمها تلك المشاعر لتحقيق أهداف الحياة. ولما كانت السلطة هي مظهر تلك العلاقات، فهي علاقات يجب ان تحكمها الأخلاق والقيم والعرف والتقاليد.

---

1 - Biestek, Jlisc: "The Casework Relationship", Chicago, Loyola Univ. Press, 1957, p. 117.

2 Perlman, Hellin Harris: "Social Casework A Problem Solving Process", Chicago Univ. Press, 1957, pp. 65-66.

العلم والقوة والأخلاق

المقدمـــــة:

علم بغير قوة، علم عاطل لا نفع فيه، وقوة بغير خلق كريم، قوة مدمرة مخربة. فالعلم والقوة والأخلاق طاقات متممة ومكملة بعضها بعضاً ورجال الأمن هم رجال السلطة التنفيذية، فهم رجال سلطة وسلطان، وأولو بأس شديد. واذا أصبحت تلك القوة والبأس الشديد منطلقين بلا قيود ولا سيطرة فانهما القوة المدمرة. وفي الوقت نفسه يتمتع رجال الأمن بقسط متفاوت من العلم، فتجمع لديهم العلم والقوة، فاذا ما زان ذلك الايمان، أصبحت القوة بناءه والعلم نبراساً؟ والايمان هادياً ومرشداً

ان هذه الطاقات كفيلة بأن تكوِّن قيادات قادرة على التفكير والتخطيط وقادرة على تذليل العقبات وقادرة على حسن التوجيه، وخلق قيادات تالية وقادرة على تفهم مشكلات البيئة، ومشكلات العمل، ومشكلات العاملين تحت قيادته، والقدرة ـ في النهاية ـ على ايجاد الحلول العملية والواقعية والفعالة.

فان هذه الطاقات كفيلة كذلك بأن تمحو عن الأذهان كل يوصم رجل الأمن بأنه ذو جبروت وطغيان وتسلط بينما هو في الحقيقة بتلك الطاقات والمثل الرفيعة والقيم السامية عنصر بناء يفشي الأمن والطمأنينة والاستقرار ويمد يده للمواطنين للعون والنصرة والمؤازرة.

أولا - دواعي الانحراف:

السلطة في يد ضعاف النفوس من البشر تغري دائماً بتجاوز الحدود وينتهي هذا التجاوز عادة بالانحراف والشطط، ويرجع هذا الميل الى التجاوز الى أسباب كثيرة منها الغيرة على المصلحة العامة، وبهدف حماية تلك المصلحة والخوف عليها وقد يكون السبب في تجاوز الحدود الرغبة في التسلط، وسواء كان هذا أو ذاك، فان تلك الرغبة الحمقاء، أو النزوع غير السوي نحو التسلط، تتجاوز وتتخطى درجات القبول. وقد تغري السلطة ضعاف النفوس بالتجبر والقسوة والعنف بالخروج على المألوف من ناموس الطبيعة، والتعدي على ما تفرضه الحياة الحرة الكريمة

وأجهزة الأمن في أية دولة ومهما اختلفت نظمها هي: أجهزة السلطة التنفيذية وتأتي على قمتها، فأجهزة الأمن هي المنوطة بتنفيذ القوانين واللوائح، والقرارات والأوامر والتعليمات، وفي الوقت نفسه هي المسئولة عن حفظ الأمن العام والنظام والصحة العامة والآداب العامة في المجتمع. وتلقى هذه المسئولية على أجهزة الأمن مهمة مكافحة الجريمة أيا كانت وأينما كانت. وذلك باعتبار أن الجريمة أخطر وأعنف معول هدم للمجتمع، فهي تهدد أمنه واستقراره. ولما كان من المستحيل منع الجريمة ـ فهي نبت اجتماعي ـ فان على أجهزة الأمن أن تتولي مهمة كشف ما يقع من جرائم وتتبع مرتكبيها، والقبض عليهم واتخاذ الاجراءات التي يوجبها قانون الاجراءات الجنائية بدءاً بالتحقيق وانتهاء بتقديم الجاني، الى المحاكمة لنيل جزاء ما اقترفت يداه.

ورجال الأمن ـ وهم يقومون بهذه المهمة المقدسة في سبيل تحقيق الأمن والاستقرار وطمأنينة المجتمع ـ يسعون بكافة الطرق القانونية

الى القيام بهذه المهمة على أحسن وجه وهذا النجاح هو المنعطف الذي تنعطف عنده بعض الأهواء والأغراض، والميل وينتهي الى الجور وقد يتمسك بعضهم ـ في سبيل تحقيق هذا النجاح ـ بكل القيم والأخلاقيات ولكن هناك ـ دائماً ـ قلة منهم قد يغريهم النجاح، بالتضحية بكل القيم أو بعضها. وقد يدفع هذا النجاح الرخيص القلة س رجال الأمن الى تذليل العقبات وتخطي كل الصعوبات للوصول اليه باعتباره هدفاً لذاته وغاية مطلوبة وليس وسيلة

وقد يكون لطبيعة رجل الأمن دخل في الخروج عن الطريق السوي، واللجوء الى القوة والعنف لاشباع ميوله العدوانية وأياً كان الدافع وراء التخلي عن القيم الأخلاقية، وأياً كان المبرر الذي يتوارى خلفه رجل الأمن المنحرف فان الخروج على القيم الأخلاقية انحراف جسيم. وقد لا يحس رجل الأمن بذلك، أو قد يعتقد أنه يحسن صنعاً وأنه يعمل للصالح العام وفي الايمان ثم في الالتزام بنصوص القوانين ما يحمي هؤلاء من الانحراف، وما يقوِّم سلوكهم حتى يتلاءم كل منهم مع الحق والواجب.

ومن المسلم به ـ في عصرنا الحديث ـ أن جهاز الأمن الناجح لا يحتاج الى وسائل علمية وتقنية حديثة فحسب لكي يحقق النجاح بل يحتاج ـ بالاضافة لذلك ـ الى علاقات اجتماعية ولمسات انسانية عند حل مشاكل المواطنين، والى تفهم أسباب الجريمة[1] وعلى ذلك فان

---

1 - Gwyne Peirson: "Police Operations", Nelson Hall, Law Enforcement Series, N.Y., 1976, p. 1.

حجم الحصافة أو الفطنة التي على رجل الأمن أن يمارسها حجم ضخم بالاضافة الى فهم القانون والدراية باجراءاته

ويواجه رجال الأمن مشكلات وسلوكيات اجتماعية بالغة التعقيد. ومن هنا كان لزاماً تسليح رجل الأمن بالأخلاق والمثل والمبادىء حتى يؤدى واجبه بالأمانة والصدق، أي يجب تسليح رجل الأمن بالايمان. فالايمان ـ في بعض شعبه ـ هو العدل والاخلاص مع الله ثم مع الناس. ويتم ذلك بتلقين رجال الأمن أثناء الاعداد والدورات التدريبية المختلفة كيفية تنفيذ العمليات الأمنية، وكيفية التعامل مع المواطنين سواء كانوا متهمين أم شهوداً في جميع مراحل التحقيق بالأسلوب الانساني تحت مظلة القيم الأخلاقية وتلك هي مهمة المدربين والمعلمين في تلك الدورات.

ان العلم والمهارة وحدهما لا يكفيان لنجاح رجل الأمن لأنهما لا يكفيان لجعله الرجل الجيد، بل لابد من أن يقترن العلم بالخلق القويم والمهارة بالسلوك السليم وبعبارة أخرى يجب أن يقترن العلم بالايمان.

ورجل الأمن الذي يتجرد من القيم والأخلاقيات يكون وبالاً على جهاز الأمن ولا يزيده الا خبالا وضعفاً وعدم صلاحية وسوف ينعكس ذلك على المجتمع، وربما يكون أثره أبعد ـ في المجتمع ـ من الجرائم المروعة ذاتها. ان المجتمع هو الذي يدفع وحده الثمن اذا كان بعض رجال الأمن غير أمناء في سلوكهم أو غير أمناء في تعاملهم، أو كانوا غلاظ القلوب.

وما أشد الحاجة ـ في هذا العصر الذي نعيشه ـ الى الأمانة والرحمة والانسانية ذلك لأن رجل الأمن أصبح متصلا ومتغلغلا في

حياة الأفراد وفي حياة المجتمع. وأصبح الأمن والاستقرار مطلبين يسعى اليهما المجتمع كسعيه الى الهواء للحياة.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لن يحظى رجل الأمن باحترام وتقدير المجتمع الا اذا تم اعداده الكامل والصحيح لتأهيله كرجل أمن صالح[1]، وذلك بعد أن يحسن اختياره من بين العناصر الطيبة.

ولما كانت البيئة أو المناخ الذي يعمل فيه رجل الأمن يختلف عن مناخ أي عمل آخر يعمل فيه عاملون آخرون[2] فان رجل الأمن هو نوع فريد ونمط خاص من العاملين في الدولة. أو هكذا، يجب أن يكون، فمناخ العمل الأمني هو عبارة عن مواقف وسلوكيات شخصية، وأغلب تلك المواقف هي التي تفرض نفسها وتتطلب سلوكاً ملائماً وتصرفاً مناسباً وفورياً من رجل الأمن، ومن هنا كان للقيم والأخلاقيات دور فعال ومؤثر في اتخاذ القرار الذي يمليه الضمير والصالح العام فهي المرشد والهادي وهي الواقية من الانحراف.

ورجل الأمن فرد من أفراد المجتمع أو البيئة التي نشأ فيها، فالبيئة هي كل الأحوال والظروف الخارجية التي تحيط بالفرد في وقت معين. فلا يكون المواطن صالحاً الا اذا نشأ تنشئة اجتماعية سليمة متكاملة مراعياً لكل القواعد والتقاليد والعادات السائدة في قومه وعليه ان يكون صاحب حس ومتفهماً للقيم والمفاهيم التجريدية، مثل الأمانة والصدق والعدل والانصاف الخ وهذه كلها مفاهيم

---

1 Gwyne Peirson: Ibid, p. 8

2 - William J. Osterloh: "Police Supervisory Practice", John Wiley & Sons, N.Y., 1975, p. VII.

لا تتوارث وانما مفاهيم تكتسب ويتعلمها الانسان من المجتمع الذي يعيش فيه منذ ولادته[1]

والمشكلة أن رجل الأمن ـ عندما يلتحق بعمله ـ يكون قد اجتاز المراحل الأولى والأساسية لاكتساب تلك القيم والمفاهيم، وهي مراحل الطفولة والمراهقة حتى سن البلوغ، ويكون قد اكتسب مفاهيم معينه، مما يعقد المشكلة فقد يصعب تغيير شيء، ولكن يمكن تحقيق نوع من التهذيب والتشذيب لتلك الأفرع الناشزة بدءاً بالجندي وانتهاء بالضابط. ومن هنا تجيء الدقة في الاختيار وحسن الانتقاء من البيئة الصالحة وبعد ذلك يأتي دور التدريب والتوعية ومداومة التلقين، فالعناصر الصالحة قادرة على العطاء وقابلة للتقويم.

---

١ ـ الدكتور ابراهيم خليفة مفاهيم في علم الاجتماع. المكتب الجامعي الحديث ١٩٨٣/١٩٨٤م. ص: ٧٧ ـ ٧٩

ثانياً طبيعة عمل أجهزة الأمن

ان عمل أجهز الأمن عمل نبيل في مظهره جليل في مخبره وحقيقته وفي ذلك يقول صلوات الله عليه:

«عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله».

فرجل الأمن يعمل بالليل والنهار حتى يطمئن كل مواطن على نفسه وعلى عياله وماله ورزقه، انه يعمل والناس نيام. وفي كل الأوقات وتحت كل الظروف. وأقسام الشرطة ومراكزها ملاذ لكل صاحب حاجة ولكل س يسعى الى دفع ظلم أو يطالب بحق ولكل س وقع عليه ضرٌ يود رفعه أو ملمة ويتلهف على معونة، بل وملاذ لكل مس يطلب نصحاً في أمر من أمور الحياة.

ويمكن الا تكون أقسام ومراكز الشرطة على هذه الصورة الجميلة النافعة، ويمكن أن تكون كالمستجير من الرمضاء بالنار!! وان تأثير الشر أشد وأعمق تأثيراً في النفس من تأثير الخير، فجرح الشر أعمق وأشد ايلاماً، ويدرك الناس الشر ويشعرون به بينما هم عن الخير غافلون وغير مدركين، لأن الخير هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها

ومن هنا فان خروج قلة س رجال الأمن على مقتضيات الوظيفة أو مقتضيات الأخلاق كفيل بأن يفسد عمل الجماعة، ذلك لأن عمل الأمن صورة راقية من العمل الجماعي وصورة مشرفة من التعاون بين أفراد تلك الجماعة وبين المواطنين.

ان عمل القلة المنحرفة مس رجال الأمن كفيل بأن يحدث رد فعل مضاداً عند المواطنين. ونجاح أجهزة الأمن على مختلف نوعياتها وأهدافها وأغراضها، رهين بالتعاون بينها وبين المواطنين.

وكما أن رجل الأمن نبت من نبات المجتمع، فهو فرد منه يعمل فيه وله، وهو يعيش حياته من خلال علاقاته بالأشخاص الآخرين معه في الجهاز، وعلاقاته بالمواطنين في المجتمع يؤثر فيهم ويتأثر بهم[1] وفي الوقت نفسه فان المجرم هو نبت آخر من بنات ذات المجتمع. فالمجتمع يضم الجاني والمجني عليه، ورجل الأمن. ويندر أن تقع جريمة لا يعرف دقائقها وتفاصيلها بعض العامة من الشعب، فاذا انعدم التعاون بين رجال الأمن وبين أفراد المجتمع فأنّى يتحقق النجاح لرجل الأمن؟!

ورجل الأمن أشبه بالمصلح الذي يدعو الناس لما فيه خيرهم وأمنهم، ولما وصف الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بقوله: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[2] فلو كان رجل الأمن فظاً غليظ القلب لانفض الناس من حوله، وهذه هي السلبية من جانب المواطنين.

فالسلبية هي النتيجة المباشرة لغلظة القلب والقسوة والخلق الفظ. ويتولد عن هذه السلبية عدم التعاون من جهة وعدم تنفيذ التعليمات والتوجيهات من جهة أخرى، وفي ذلك تحريض سافر ـ وان لم يشأ المواطنون ـ للمجرمين كي يعيثوا في الأرض مفسدين، اذ

---

١ الأستاذ محمود حسن محمد. ممارسة خدمة الفرد. دار النهضة العربية. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٣م. ص: ١١٦

٢ ـ سورة آل عمران. الآية: ١٥٩

كيف يتقبل المواطن التوجيهات والتعليمات ممن لا تربطه به روابط الود والتراحم أو ممن لا يوقره أو يحترمه، لأنه يعامله بقسوة وبفظاظة.

وليس مطلوباً من رجل الأمن الا أن يحسن لقاء المواطن الذي يلجأ اليه، وان يحسن الاستماع اليه، وأن يعمل على رفع الظلم الذي نزل به، وتقديم المعونة اليه واسداء النصح الجميل اليه، وليس في ذلك خروج على أحكام الشريعة أو القوانين فالتشريع عدل وانصاف ورحمة قبل كل شيء.

وهو انعكاس لما فيه مصلحة الجماعة، وهو تعبير عن ارادة المجتمع وفيه الحماية والوقاية من الشر[1] وفي الوقت نفسه يتفق ذلك مع ميثاق الشرف الذي يقطعه رجل الأمن على نفسه، والقسم الذي يؤديه ويشهد الله عليه، عندما يلتحق بالعمل. وعن ذلك يعلمنا الرسول الكريم فيقول:

«انكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بحسن الخلق».

وعمل الشرطة يعتمد على الاتصال الجيد بينها وبين المواطنين وعلى حسن استجابتهم للتوجيهات اذا شعروا بأنها في صالحهم، وكيف يحسون بذلك اذا كانت خيوط المودة بينهم وبين رجل الأمن مقطوعة، وأمشاج المحبة غير موصولة؟! اننا اذا أردنا أن نحكم على رقي الدولة ننظر الى العلاقة بين الناس في هذه الدولة وبين رجال الأمن فيها فان كانت علاقات محبة واحترام متبادل فهي دولة

---

١ ـ هناك من عادات الجاهلية ما أبقى عليه الاسلام وأقره لما فيه من قيم واخلاقيات حميدة تصلح للمجتمع الصالح ومن هذه العادات تحمل عائلة الجاني، في بعض الظروف، الدية عن الجاني.

متحضرة. وليست هذه المحبة المتبادلة شعارات ترفع وانما تتواجد بالعمل الأمين القائم على المودة والمحبة.

وجاء الاسلام باحترام الشخصية الانسانية. والشخصية الانسانية لا تكون الا مع الحرية:

- حرية الفكر والعقيدة.
- حرية الاقامة وحرية التنقل.
- حرية الرأي.
- حرية الدولة

لذلك فان الاسلام والتحكم نقيضان لا يجتمعان. فليس للانسان أن يتحكم في غيره وليس للدولة أن تتحكم في الناس. ولكن للدولة أن تحكم على س يشط أو يتجاوز حدوده[1] ورجال الأمن هم أداة السلطة - أو الدولة - التنفيذية.

والحر هو الشخص الذي تتجلى فيه المعاني الانسانية العالية ويضبط نفسه ولا ينطلق وراء أهوائه وشهواته، ولا يكون عبداً لها. فالحر يبدأ بالسيادة على نفسه، واطلاق ارادته وعقله من قيود شهواته والحرية معنى اجتماعي لا توجد الا في مجتمع يأخذ الآحاد منه ويعطون، وتأخذ الدولة منه وتعطي، والعدالة هي الميزان الذي يضبط به كل عمل، والحرية خاضعة لهذا الميزان[2]، وهذا هو مفهوم الحرية وعلى رجل الأمن أن يدرك ذلك ويطبقه على نفسه أولا، وعلى معاملاته مع اخوانه في الجماعة وعلى المواطنين.

---

١ - الشيخ محمد أبو زهرة. المجتمع الاسلامي في ظل الاسلام. الدار السعودية ١٤٠١هـ (١٩٨١م) الطبعة الثانية ص: ٢٥٧

٢ - الشيخ محمد أبو زهرة. المرجع السابق. ص: ٢٥٨ - ٢٥٩

ولا سبيل الى الصلاح بالنسبة للفرد والمجتمع ـ والشرطة ورجال الأمن جزء من هذا المجتمع ـ الا بالتمسك بالاسلام وبتعاليمه وبقيمه وأخلاقياته والتلاقي بين أفراد المجتمع على المودة والرحمة والصلة، والتعاون بين الجميع لتتفجر ينابيع الخير للجميع. فالدين يقيم العدل والقسطاس، ويهذب الغرائز ويقوي عنصر الروح من غير ظلم للجسد، وينظم الدين العلاقات الانسانية بين الآحاد والجماعات على أساس من الأخلاق الفاضلة[1].

ولقد وضعت الدساتير والقوانين من الضمانات ما يحمي الحريات من العبث بها أو الاعتداء عليها، ولكن النصوص ـ وحدها ـ لا تكفي لأن العبرة ليست في وجود نصوص وضمانات فحسب وانما العبرة تكمن في مدى ايمان القائمين على التنفيذ بها ومدى احترامهم لها[2] والتساؤل مستمر: هل حققت تلك النصوص للانسان حقوقه وحرياته وهل احتفظت له ـ على الأقل ـ بالحد الفاصل بين الصواب والخطأ[3]؟!

وتشكل بعض اجراءات التحقيق الجنائي اعتداء ـ بصورة أو بأخرى ـ على الفرد وعلى حرياته، ففيها من القهر والقسر تجاه المتهم، بل وغير المتهم ومن هذه الاجراءات القبض والتفتيش[4]. وهي اجراءات فيها مساس بحقوق المتهم. وهذا المتهم برىء حتى تثبت

---

١ ـ الشيخ محمد أبو زهرة. المرجع السابق. ص: ٢٨٥ ـ ٢٨٦

٢ ـ اللواء الدكتور حسين ابراهيم. الوسائل العلمية الحديثة في الاثبات الجنائي. دار النهضة العربية ١٩٨١ ص. ٢٥

3 Richardson J.: "Modern Scientific Evidence: Civil & Criminal", Anderson Co., Kentucky, U.S.A., 1961, p. 19.

٤ ـ اللواء الدكتور حسين ابراهيم. المرجع السابق. ص: ٣٨

ادانته فالأصل في الانسان البراءة و «البينة على من ادعى» و «ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجاً فخلوا سبيله، فان الامام ليخطىء في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة».

وان كان هذا الأمر صادراً للمؤمنين كافة فان رجال الأمن أولى باتباعه ومراعاته فيتعاملون مع المتهم على أساس أنه قد تثبت براءته فيما بعد. فهو ـ عندئذ ـ أحق بالمعاملة الحسنة وبالاسلوب الانساني.

لكل هذا فان التحقيق الجنائي اجراء خطير، ولعل أخطر ما فيه أنه قد يعتوره بعض العلل والعيوب. ولعل أخطر تلك العلل الانحراف عن المسار العادي للتحقيق، وسواء كان هذا الانحراف عن قصد أو عن غير قصد فان البريء هو الذي يحيق به الظلم ويلحق به الضرر وقد يتحايل المحقق على النصوص القانونية حتى يتمكن من اخضاعها لأغراضه أو حتى يتمكن من أن يجد فيها منفذاً، ويتغير مسار التحقيق عن الطريق الصحيح[1]

ومما يزيد الأمر خطورة ان ليس على المحقق من سلطان الا سلطان الضمير يحميه من الانزلاق أو الانحراف وفي ذلك يقول الرسول المعلم صلوات الله عليه:

«صنفان من أمتي اذا صلحا صلح الناس: العلماء والامراء» والمقصود بالأمراء كل من يتولى سلطة أو يتولى مسئولية

---

١ ـ اللواء الدكتور حسين ابراهيم. المرجع السابق. ص: ٤٩.

ثالثاً: السلوكيـــات:

للعمل آداب وسلوك ويختلف أسلوب الأداء من شخص الى آخر ولكن القاعدة العامة التي تحكم هي حسن الأداء بمعنى ان يتم العمل بالصورة التي تكفل تحقيق الهدف، والتزام الحدود، ومن أعمال الأمن ما يشكل عنفاً في ذاته على الفرد كما يشكل قهراً واعتداء عليه. وفي تنفيذ التعليمات والأوامر نوع من القهر

والاحسان في العلم أن يتم أداؤه بالصورة التي يقل فيها العدوان أو العنف ومراعاة الله في كل عمل من شأنه أن يقلل من الضرر أو الايذاء أو العنف فعمليات القبض والتفتيش أو تفريق المظاهرات وفض التجمعات يمكن أن يؤديها رجل الأمن بالعنف والقهر والقسوة. ويمكن ألا يغالى في ذلك فتتم في حدود المعقول وبأقل ضرر ممكن.

والظلم ظلمات وفتنة يمزق أواصر المحبة والتراحم بين الناس وبين رجال الأمن ويفرق الجماعة ويقطع أوصالها، وينعكس ذلك على المجتمع، ورجل الأمن الظالم داعي فرقة، والظلم فتنة طاغية لا تفرق بين الظالم وبين من لم يظلم، بل هي فتنة تصيب الكافة ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾[1] بل تمتد الكراهية الى رجال الأمن جميعاً

ان رجل الأمن الذي يصعر خده للناس، إنما يقدم عزته وكرامته قرباناً لمن لا يستحق، ويخالف تعاليم الرسول الكريم:

«أطلبوا الحوائج بعزة الأنفس، فان الأمور تجري بالمقادير».

١ ـ سورة الأنفال. الآية: ٢٥

والكبر والغطرسة يؤديان الى القسوة وغلظة القلب واصطناع الوقار وكثيراً ما يصطنع الوقار غير وقور! ويتكلف السيادة غير سيد!

ومهما بلغ رجل الأمن من مركز وجاه، فلا ينس نصيحة الحكيم لقمان لابنه:

﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا أن الله لا يحب كل مختال فخور﴾[1]

المروءة تحمل صاحبها على تخفيف الويلات ومسح العبرات وازالة الآلام ودفع الأحزان فيحنو على الضعفاء والمنكوبين. وقد يكون جانب الضعفاء في المجتمع هو الجانب الذي يتوارى فلا يظهر في مجال النظام العام والصحة العامة وهما الجناحان من القلب الذي هو الأمن العام. فالمجتمع السليم هو المجتمع الذي يكون أفراده رحماء بينهم، يعطف كبيرهم على صغيرهم ويوقر صغيرهم كبيرهم، والكبير هنا هو صاحب السلطة والجاه، بينما الصغير هو أفراد المجتمع:

فيعين قويهم ضعيفهم، ويرشد عالمهم جاهلهم، ويهدي حكيمهم سفيههم!

عندئذ يرى المحكوم مروءة الحاكم ورحمته يراهم مصابيح الهدى[2]

---

١ ـ سورة لقمان. الآية: ١٨

٢ ـ الشيخ محمود شلتوت. من توجيهات الاسلام. مطبوعات الادارة العامة للثقافة الاسلامية بالأزهر سنة ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م). ص: ٣٠٤

ونعني بذلك الرحمة الايجابية والاغاثة العملية والايثار الواقعي والتعاون العقلي. فالتحلي بهذه القيم وبتلك الأخلاقيات ليس من قبيل التدين فحسب ولكنه أيضاً من مستلزمات الحياة ومتطلبات المجتمع فهي مقتضيات المصلحة العامة واجابة لداعي الانسانية وداعي الدين والوطن والمصلحة الذاتية[1].

والجهر بالسوء من الأمور المشينة تشين الانسان وتهوي به الى الدرك الأسفل، واذا كان ذلك يشين الانسان العادي فهو اذا صدر من رجل الأمن يكون مدمراً ومخرباً! ويكون دعوة سافرة ضد النظام وخروجاً على القيم وتحريضاً على الاغراق في السوء.

وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد، فالجهر بالسوء يغرس في النفوس العداوة والبغضاء ويخلق عند من لم يألفها عاطفة التجرؤ عليها، وكان أعمق أثراً في الأحداث الذين تنطبع في نفوسهم البريئة وعقولهم الغضة صور ما يسمعون أو يرون من رجل الأمن بالذات، الأمر الذي كثيراً ما ينتهي الى الهواية في الجريمة[2] ان السوء الذي يؤذي الجماعة ويزلزل الأمن ويخل النظام ويفسد الأخلاق هو اعتداء على النظام العام.

﴿ولا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظُلم﴾[3]

الغضب يوقع في الاسفاف والخطأ، ويفقد الحكمة والاتزان وحسن التصرف وما أحوج رجل الأمن ـ في كل المواقف ـ الى الاتزان والحكمة وحسن التصرف!

---

١ ـ الشيخ محمود شلتوت. المرجع السابق. ص: ٣١٣

٢ ـ الشيخ محمود شلتوت. المرجع السابق. ص: ٣١٧.

٣ ـ سورة النساء. الآية: ١٤٨

ولقد سئل رسول الله صلوات الله عليه عن أشد الأشياء؟ قال: غضب الله! فسئل عما ينجي من غضب الله؟ قال: لا تغضب!! ولم يكن رسول الله (ﷺ):

قوياً في طفولته؛ فلقد تربى يتيماً!
ولا قوياً بماله؛ فلقد كان شاباً فقيراً.
ولا قوياً بعصبيته؛ فلقد كانوا أشد قسوة وضراوة عليه من الغريب.

بل كان صلوات الله عليه:

قوياً بخلقه ومبادئه، قوياً بايمانه الصادق، قوياً بتمسكه بالحق لا يحيد عنه ولا يميل فالحياة بلا أخلاق:

رحتها قلق، ورقادها أرق، وأمنها خوف، وضياؤها ظلام وجهالة.

ان رجال الأمن: نار على الشر وأعوانه، نور للوطن والمواطن الصالح، نور يهدي ويهتدى به الضالون.

فللناس حرمات وللبيوت حرمات فلا يسعى رجل الأمن لكشف ما خفي من العورات ففي الناس عيوب وصاحب السلطان أولى وأحق بسترها، فلا يكشف رجل الأمن عما غاب عنه منها بل عليه تطهير ما ظهر له، والله يحكم فيما غاب عنه

وليأخذ رجل الأمن القوانين والتشريعات المتعلقة بالحياة الاجتماعية بروحها لا بحرفيتها. ولينفذ أمور من لا يملك الوصول

اليه من آحاد الناس ولا يزدري أحدا فان هؤلاء الناس هم أحوج الى الانصاف من غيرهم، وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول: «لا تحتقر من المعروف شيئاً ولو ان تلقى أخاك بوجه طلق» ولقد أحس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ بعبقريته الملهمة ـ ان في الرعية من يحتاج الى الانصاف ولكن لا صوت يرفعه ولا سبيل الى أن يصل اليه فليتصل هو ـ أمير المؤمنين ـ بالناس فكان أول من وضع نظام العسس (دوريات الليل في العصر الحاضر).

ان الحياة ليست كلها لهواً ولعباً وليست طريقاً مفروشاً دائماً بالورود والرياحين وليست كلها جحيماً وأزمات بل مزيجاً من هذا وذاك. فلا يطغى الفرح على رجل الأمس كلما تفتحت له الحياة ويضيق بها كلما غربت فيصب جام حنقه وغضبه على الناس فلايأس ولا قنوط من رحمة الله بل صبر ومثابرة وايمان بالله. ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[1].

ولا يكن رجل الأمن لينا فيعصر ولا صلباً فيكسر، بل يبتغي بين ذلك سبيلا، فليكن ليناً حينما يكون الليں مطلوباً ومرغوباً فيه وصلبا حينما تكون الصلابة هي العلاج والدواء، وليتبع هدى الرسول الكريم (ﷺ) «ان أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي».

واكتساب الفضائل أمر شاق وصعب ولكن اكتساب الرذائل أمر سهل، فرفع الحجر الثقيل من الأرض الى العاتق صعب والقاؤه الى الأرض سهل.

---

١ ـ سورة الحديد. الآية : ٢٣

قد يسلك الفرد سلوكاً يؤدي الى البغض والكراهية وخاصة اذا كان هذا الفرد من ذوي السلطة والسلطان، ولقد قسم الرسول الكريم (ﷺ) الشرور الى ثلاث درجات هي: من أكل وحده ومنع رفده، وضرب عبده، وانتهى بأكثرهم شروراً وهو من يبغض الناس ويبغضونه

ولكل هذه، تأخذ أغلب الدول المواثيق على رجال الأمن قبل أن يلتحقوا بالعمل، وهذا القسم يكون بمثابة الشعلة التي تضيء الطريق لرجل الأمن وتنير لخطاه حتى لا يضيع من قدمه الطريق، ويوقظ ضميره دائماً كلما وسوست له نفسه، فكلما حدثته نفسه بأمر لا يراد به الخير تذكر القسم الذي أخذه على نفسه وتذكر ميثاق الشرف الذي قطعه على نفسه

انه يعاهد الله ويشهده على أن يؤدي عمله بالأمانة والصدق، وأن يكون عمله جاداً بناء ولا يضن بجهده أو يفرط في واجب، ان رجل الأمن الذي على خلق كريم يكون محل احترام وتقدير من الناس ويكون ملجأ وملاذاً للجميع.

متى نرى الطفل - في مجتمعنا - يهرع الى رجل الأمن في الطريق عند ما يلم به سوء أو يعتريه أمر فيلجأ الى رجل الأمن ينشد الأمن والأمان؟! متى نرى الطفل - في مجتمعنا - يستعين برجل الأمن كي يعبر به الطريق، وهو آمن به ومطمئن في حمايته؟!

﴿وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا﴾[1].

---

١ - سورة الاسراء. الآية: ٣٤

ضوابط الالتزام المهني

ان الدولة تضع ضوابط تحقق التوازن بين السلطة التي تخولها القوانين لرجال الأمن وتأخذ هذه الضوابط صوراً متعددة:

الضوابط الادارية: مثل:

١ ـ ضوابط عند الاختيار.

٢ ـ ميثاق غليظ وبيين قاطعة عند التعيين.

٣ ـ ضوابط أثناء العمل وهذه تأخذ أشكالا متعددة:

- اشراف ورقابة الرؤساء.
- حوافز تشجيعية.
- التقارير السرية.
- الجزاءات
- النقل.

الضوابط القانونية:

وهي نصوص يلجأ اليها المشرع الوضعي فتجرم بعض صور الخروج على القيم والأخلاقيات والسلوك.

أولا: الضوابط الادارية:

الضوابط الادارية هي القواعد التي تضعها القيادات والادارات والتي تحكم رجل الأمن منذ يوم اختياره حتي يوم تعيينه، كما تتعهده طوال مدة خدمته لتكون له وجاء يحميه من الانزلاق الى المهاوي والزلل. وفي الوقت نفسه تحمي المواطنين من هذا الانزلاق والسقوط الى الهاوية وهي ضوابط يلجأ اليها معظم دول العالم.

أولا: قواعد الاختيار:

تضع كل دولة ما يتراءى لها من شروط وصلاحيات يجب توافرها في رجل الأمن أو فيمن يختار العمل في هيئة الشرطة وتختلف هذه الشروط تزمّتاً واتساعاً حسب المستوى الذي يختار له رجل الأمن. فهي قواعد وشروط تختلف من المستوى الأدنى الى المستوى الأعلى ولا يتوقف الأمر عند الاختيار والتعيين بل ان المستويات العليا (القيادات) تتطلب مواصفات معينة تؤهل صاحبها للاضطلاع بمسئولية القيادة في المناصب المختلفة.

ثانياً: ميثاق الشرف والقسم:

ان النفس لأمارة بالسوء، وعلى ذلك فلا يجب أن يترك العمل لوازع الضمير ولما يتمتع به الشخص من صفات وأخلاقيات، وهي الصفات التي أهلته للعمل في هيئة الشرطة، والعمل في هيئة الشرطة من الأعمال القليلة التي يتعين على كل من يعمل فيها أن يحلف اليمين ويؤدي القسم. ذلك لأن عمل الشرطة ـ بصفة خاصة ـ

يتصل بالحياة ويرتبط بالمعيشة، ويتعلق بالمواطنين في حياتهم حتى في أدق خصوصياتهم.

لهذه الأسباب فان معظم الدول تجعل ميثاق الشرف والقسم من مراسم التعيين في الخدمة بعد أن تم اختيارهم طبقاً لمواصفات معينة وبعد تدريبهم واعدادهم الاعداد المناسب لطبيعة ونوعية العمل فيشهد رجل الأمن الله على:

- أن يؤدي واجبه بالدقة والصدق.
- أن يبذل الجهد ولا يضن به
- ألاَّ يتخلى عن واجبه أو يتنكر له
- وأن يكون مخلصاً غير مفرط!

جاداً غير هازل!

بناء غير هدام!

شجاعاً غير هياب!

ثالثاً: الاشراف والرقابة:

يبدأ الاشراف والرقابة والتوجيه بعد تعيين رجل الأمن مهما كان مستواه الوظيفي. فتتدرج المستويات الاشرافية والرقابية من أولى درجات القاعدة الى القيادة المتوسطة الى القيادات العليا

وتؤاخذ كل هذه القيادات المختلفة على الخروج على مقتضيات الواجب والوظيفة وتؤاخذ على التقصير والاهمال كما تثيب على العمل الجيد، بدءاً بالثناء والتقدير الى المكافآت التشجيعية والعلاوات الاستثنائية وحتى الترقيات الاستثنائية

كما تبدأ المؤاخذة بالانذار الى الخصم س الراتب الى النقل وهكذا حتى تصل الى عقوبة الايقاف والاحالة الى الاستيداع أو الفصل من الخدمة أو العزل من الوظيفة

ولعل أهم صور الاشراف والرقابة هي تقارير الكفاية، وهي تقارير سرية يقدمها الرئيس المباشر والرئيس ومدير المصلحة في نهاية كل عام، وتختلف مستويات محرري التقارير من الجنود والصف الى الضباط. وحتى لا يساء استخدام هذه التقارير فقد وضعت الدولة ما يكفل سلامة هذه التقارير وصدق تمثيلها للشخص وحتى تكون صورة صادقة ومعبرة عن حالة صاحب التقرير الوظيفية وكفلت الدولة الضمانات بما يحقق الهدف المنشود من هذه التقارير وأتاحت للفرد حق التظلم اذا جاء التقرير منخفضاً في المستوى العام أو اذا تضمن ملاحظة في غير صالح صاحب التقرير أو ما يسيء اليه، وتتولى جهة محايدة وعلى مستوى عال فحص هذه التظلمات ثم تبدي رأيها بعد الفحص، وفي حالة الضباط يعرض هذا الرأي والتقرير على المجلس الأعلى للشرطة ليصدر قراره على النحو الذي يراه

رابعاً: متنوعات:

كما تلجأ الدولة الى صور أخرى س الاشراف والرقابة عن طريق التشجيع وتقديم الحافز على الاجادة والالتزام بالضوابط والقيم. ومن هذه الصور:

الحوافز التشجيعية:

من هذه الحوافز التعيين في وظائف متميزة تحتاج الى الكفاءة والى ذوي الفضل وأصحاب الخلق القويم حتى يكونوا قدوة حسنة لباقي

المجموعة كما يمكن نقل رجل الأمن الى وظيفة أفضل أو الى موقع ممتاز تشجيعاً له على كفاءته واجادته وجميل صفاته

وتأخذ الحوافز التشجيعية صورة مادية مثل المكافآت المالية، وهذه تتفاوت في القيمة، وبذلك يشعر الشخص ان الخلق الكريم والصفات الحميدة محل تقدير من قياداته، ويكون ذلك تشجيعاً لزملائه لكي يقتدوا به ويحذوا حذوه، وعندئذ تصبح تلك الصفات والأخلاق محل اعتزاز واكبار وفخار من الشخص ذاته.

الثواب، العقاب:

الثواب والعقاب وجهان لعملة واحدة، وهما أساس حسن الادارة والانتظام ورفع كفاءة العمل وكفاءة الانتاج. واذا كان العمل الجيد يلقى التقدير والتشجيع والمكافأة فان المقابل والمساوى لذلك أن يجازى المسيء على اساءته وإلا اختل التوازن واضطرب العمل وعمت الفوضى وتفشت السلبية

وبذلك تكون مكافأة المحسن ومجازاة المسيء ضرورتين وضمانين لحسن الاداء والانضباط، وتتدرج الجزاءات من أبسطها وهو اللوم والانذار وتنتهي الى المحاكمة والفصل.

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[1]

والضوابط الادارية ـ مهما كانت محكمة ـ فلن تسيطر على الموقف الا بقدر والسيطرة الأولى سردها الى الضوابط الشخصية أي الى السلوك الشخصي والحرص علي حسن العلاقات وحسن الجوار، فالأمر يحتاج الى سلوك ايجابي من قبل رجل الأمن.

---

١ ـ سورة الزلزلة الآيتان: ٧، ٨.

ثانياً: الضوابط الشخصية:

تقوم الحياة الاجتماعية على علاقات متعددة مع الآخرين وتقوم هذه العلاقات على أسس أوعناصر تدخل في تركيبها أو تكوينها وتتطور هذه العلاقات أو يحدد تطورها سلوك طرفي العلاقات وفهم وادراك كل طرف نوايا الطرف الآخر[1]. والعناصر التي تدخل في تكوين تلك العلاقات هي[2]:

١ ـ عناصر العلاقة المهنية:

وهذه العناصر هي الاهتمام بمصالح الآخرين فيضع رجل الأمن كل مهارته وعلمه وخبرته وتجاربه ونفسه تحت تصرف الآخرين أو في خدمتهم، ولا يعني ذلك الاهتمام بالمحبة أو عدم المحبة، فتلك مفاهيم مضللة لأننا لا نتصور محبة جميع من نتعامل معهم، ولكن المقصود بذلك هو الاهتمام بمصالح الغير بعيداً عن مشاعر الحب والكراهية فلله عباد حبب اليهم عمل الخير اي تحقيق مصالح العامة.

٢ ـ التعهد والالتزام: Commitment & Obligation

قد لا يستطيع رجل الأمن اقامة علاقات متبادلة مع الآخرين بصورة ايجابية دون أن يتحمل المسئولية المترتبة على ذلك. والتعهد هو الرغبة الأكيدة الحرة المختارة لتحقيق أهداف العلاقة المهنية، ويتجسد ذلك مادياً في ميثاق الشرف والقسم، الذي يؤديه رجل الأمن ويقطعه على نفسه عند تسلمه لعمله.

---

1 Perlman, Hellen Harris: Ibid, p. 126.

2 Perlman: Ibid, pp. 133-142.

٣ ـ التقبل والتوقع : Acceptance & Expectation

ونعني بذلك تجنب نقد الشعب أو اصدار حكم على المواطنين، وتجب التفرقة بين تقبل الشخص وتقبل تصرفاته.

فالتقبل هو بذل الجهود الايجابية لفهم وتفسير سلوك الشعب ذلك لأن مجرد الامتناع عن اصدار الأحكام على أفراد الناس ونقدهم انما هو سلوك سلبي والعنصر الأساسي في التقبل هو معرفة من يتعامل معهم باعتبار أن كل فرد يتميز بخصائصه ومكوناته هذا الى جانب الثقة بقدرته على اتخاذ القرار، فلا يجب وضع أفراد الشعب في أنماط عامة أو قوالب موحدة ولا يجب على رجل الأمن أن يدرس المواطن وأن يتفهمه من خلال منظاره الخاص الى ما يعتبره صواباً أو خطأ أو الى ما يراه حسناً أو سيئاً بل عليه أن يتفهم سلوك الفرد عن طريق تفسير السلوك وتعرف دوافعه ومغزاه.

ولا يعني تقبل رجل الأمن لمواطن أنه اتفاق معه أو يعني تخليه عن قيمه ومبادئه وعن أخلاق الجماعة التي ينتمي اليها في مقابل اتفاقه مع المواطن أو تأييد قيمه ووجهات نظره، ذلك لأن المجتمع لن يتسامح مع من يهدد معاييره وأخلاقياته وقوانينه ونظامه ان التقبل يعني مناقشة المواطن ـ كلما سمحت الظروف ـ وتفسير نزوعاته وسلوكه وتفسير الالتزام من الطرفين بأنه التمسك بالقيم والأخلاقيات السائدة والمسيطرة على المجتمع والتمسك بالقوانين التي تحكم هذا المجتمع. وحل المشاكل لا يكون بمجرد الكلام أو الحوار خاصة اذا كان حواراً بيزنطياً غير مفيد أو غير منتج[1]

---

1 Mayer J. & N. Tennis: "The Client Speaks", N.Y. Atherton Press, 1970, p. 1.

٤ ـ التوحد الوجداني: Empathy

التوحد الوجداني هو القدرة على التعرف على مشاعر ومعاناة الفرد عندما يفقد أعصابه ويثور لأمر من الأمور، فيضع رجل الأمن نفسه مكانه ويتلمس الدوافع التي أدت الى هذا الانزعاج وهذا السلوك (أثناء تحقيق جريمة اغتصاب تثور المجني عليها عند توجيه أسئلة التحقيق لاثبات توافر اركان الجريمة وكيفية ارتكابها الخ) ومما لاشك فيه أن رجل الأمن سيتعرف على الأسباب التي دفعت الفرد الى مثل هذا السلوك فيقدره ويراعيه والأهم من ذلك أن يتفادى قدر الامكان ما يسبب هذه الثورة أو الانفعال والسبيل الى ذلك كقاعدة عامة:

ـ لا يجزم رجل الأمن برأي قاطع قبل تفهم الموقف.

ـ يسأل المواطن ـ في الحالات التي تسمح بذلك ـ عن رأيه في حل المشكلة

ـ لا يرغم أحداً بتقبل وجهة نظره واذا كان الأمر يحتاج الى عرض وجهة نظره فيتم ذلك بطريق غير صريح أو غير مباشر حتى لا تتولد لدى المواطن نزعة الرفض وعدم القبول وتولد نوعاً من المقاومة لأن وجهة نظر رجل الأمن تمثل وجهة نظر السلطة.

ومن الممكن حل العديد من المشكلات الفردية أو الجماعية اذا سادت المجتمع روح المودة والتعاطف فـ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وهذا ما يطلق عليه المشاركة الوجدانية Sympathy وقريب من هذه المشاركة الوجدانية التوحد الوجداني Empathy[1]

١ أحمد ماهر البقري. خطرات في الدين والنفس. مؤسسة شباب الجامعة. الاسكندرية. ١٩٧٧م. ص: ٦٢

٥ ـ السلطة والقوة:

لا يغيب أبداً عن رجل الأمن أنه يمثل السلطة والقوة وكل رأي يبديه أو وجهة نظر أو نصح يسديه ـ في نظر الناس ـ صادر من السلطة ومصدر القوة. فيولد معه نزعة الرفض وعدم القبول. فعلى رجل الأمن مراعاة كسب ثقة المواطن أولا والتمهيد لوجهة النظر ولا يقدم النصيحة مباشرة بل يغلفها كما يغلف الدواء المر بطبقة من السكر

٦ ـ الاصالة والمواءمة Genuineness & Congruence

تقوم العلاقة بين أجهزة الأمن ورجال الأمن وبين أفراد الشعب على الصراحة والوضوح والحقيقة، ومما لاشك فيه أن الأخلاقيات والقيم التي يتمتع بها أي فرد بصفة عامة ورجل الأمن بصفة خاصة هي الطاقة التي تفجر الصراحة والوضوح وهذا يحتاج الى:

ـ معرفة صادقة بالذات.

ـ معرفة حقيقة ما تقدم هذه الذات من خدمات.

ـ معرفة سياسة الهيئة التي تعمل فيها وتتبعها تلك الذات.

ـ القدرة على التوفيق بين معرفة الذات ومعرفة أهداف جهاز الشرطة

ومعرفة الذات ليست بالأمر الهين ذلك لأن النفس لا تسلم بسقوطها في هوة العيوب، بل تلجأ الى التدبير rationalization فتطلق أعذاراً قد تكون مقبولة ولكنها ليست حقيقية، فمثلا يبرر الفشل في العمل الى عدم فهم رؤسائه له أو يبرر فشله في ادارة جهاز بأنه «سابق عصره وأوانه» ولم يستطع مرءوسوه تفهمه أو التعاون معه

فالتبرير هو ـ في الواقع ـ خداع المرء لذاته[1]. فيطلق حججاً وأعذاراً تقبلها النفس المريضة وترضى غرورها ولكنها ليست الحقيقة، وبالتالي تعزل الفرد نفسه عن الآخرين من زملائه وأعوان ومواطنين.

---

١ ـ أحمد ماهر مخمود البقري. المرجع السابق. ص: ٤٧.

الضوابط التشريعية:

لما كانت النفس أمارة بالسوء وتميل أحياناً عن العدل والحق فقد تضمنت العديد من التشريعات نصوصاً في قانون العقوبات لتواجه كافة الاحتمالات، فهناك من يدعي انتسابه الى السلطة، ومنهم من يَتَزي بِزيِّ الشرطة، ومنهم من يعتدي على رجال السلطة أثناء قيامهم بما تفرضه عليهم مسئولياتهم من واجبات؟ ومن رجال الشرطة والأمن أنفسهم ما يسي- استغلال السلطة التي ائتمنته عليها الدولة؛ وقد يقاوم البعض رجال السلطة كما تضمن قانون العقوبات نصوصاً تحمي الوظيفة العامة من الاتجار فيها، ونصوصاً أخرى تحمي المال العام من العبث به ممن ائتمنوا عليه وسوف نتعرض الى نماذج من هذه الضوابط على النحو التالي:

أولا: ضوابط تشريعية لحماية رجال الأمن أنفسهم أو من في حكمهم:

قد يحدث أن يكون رجل الأمن ضحية للاعتداء عليه وقد تتنوع الأسباب والدوافع لذلك وقد سبق أن تعرضنا الى السلوكيات اللاأخلاقية من جانب رجال الأمن والتي قد تدفع الى مثل هذا الاعتداء. واذا كانت هذه النصوص قد وضعت بغية حماية رجال الأمن أو من في حكمهم من رجال السلطة العامة حتى يتفرغوا الى مهامهم وأداء واجباتهم دون خوف أو وجل فهي تهدف كذلك الى حماية الدولة ممثلة في حماية رجالها. وفي الوقت نفسه تهدف الى خلق

مناخ صالح للعمل لا يعكره ازعاج أو اهانات أو تهديد أو مقاومة. ومن أمثلة ذلك في القانون الجنائي المصري بعض الضوابط تشكل جنحاً وبعضها وفي ظروف معينة تشكل جنايات:

جنح الاعتداء أو الاهانة:

- اهانة موظف عمومي أو أحد رجال الضبط (رجال الأمن) أو أي انسان مكلف بخدمة عامة - أثناء تأدية وظيفته أو بسببها (م١٣٣ع).
- ازعاج السلطات العامة أو الجهات الادارية أو الأشخاص المكلفين بخدمة عمومية بأن أخبر بأية طريقة عن وقوع كوارث أو حوادث أو أخطار لا وجود لها (م ١٣٥ع) - البلاغ الكاذب -.
- التعدي على أحد الموظفين العموميين أو رجال الضبط أو قاومه بالقوة أو العنف أثناء وظيفته أو بسببها (م١٣٦ع).
- ويشدد العقاب اذا حصل مع التعدي أو المقاومة ضرب (م١٣٧ع).
- ويشدد كذلك اذا حصل الضرب أو الجرح باستعمال أية أسلحة أو عصى أو آلات أو أدوات أخرى أو بلغ الضرب درجة من الجسامة (تحتاج الى علاج أكثر س ٢٠ يوماً) (م١٣٧/٢ع).

جنايات الاعتداء:

- استعمال القوة أو العنف أو التهديد مع موظف عام أو شخص مكلف بخدمة عامة ليحمله - بغير حق - على أداء عمل من أعمال وظيفته، أو على الامتناع عنه، ولم يبلغ بذلك مقصده (السجن مدة لا تزيد على خمس سنوات)(م١٣٧مكرراً).

ـ فاذا بلغ الجاني مقصده تكون العقوبة السجن مدة لا تزيد على عشر سنين.

ـ واذا كان الجاني يحمل سلاحاً أو نشأ عن ذلك عاهةتكون العقوبة الاشغال الشاقة مدة لا تزيد على عشر سنين.

ـ واذا افضى الاعتداء الى الموت عوقب بعقوبة الضرب المفضي الى الموت (الاشغال الشاقة مدة لا تزيد على ١٥ سنة).

ضوابط تشريعية تحمي عمل رجل الأمن:

حتى يقوم رجل الأمن ومن في حكمه من الموظفين العموميين أو المكلفين بخدمة عامة بواجبات وظائفهم وجدت نصوص تحمي هذا العمل

ـ اذا ارتكب الفعل تنفيذاً لأمر صادر اليه مس رئيس وجبت عليه طاعته أو اعتقد أنها واجبة عليه (م٦٣ع).

ـ اذا حسنت نيته وارتكب فعلا تنفيذاً لما أمرت به القوانين أو ما اعتقد أن اجراءه من اختصاصه. (م ٦٣ع).

بشرط أن يكون اعتقاد رجل الأمن في كلتا الحالتين مبنياً على أسباب معقولة:

ـ لا يجوز مقاومة رجل الأمن أو استعمال حق الدفاع الشرعي ضده أثناء قيامه بأمر بناء على واجبات وظيفته مع حسن النية ولو تخطى حدود وظيفته، الا اذا خيف أن ينشأ عن أفعاله (رجل الأمن) موت أو جروح بالغة وكان لهذا الخوف سبب معقول (م٢٤٨ع).

ثانياً: ضوابط تشريعية لمقاومة تجاوز الحدود:

قد تغري السلطة رجل الأمن بتجاوز حدود سلطاته أو قد يستغل سلطة وظيفته لتحقيق مصلحة خاصة، فنصت التشريعات علي:

- كل موظف توسط لدى قاض أو محكمة لصالح أحد الخصوم أو اضراراً به بطريق الأمر أو الطلب أو الرجاء أو التوصيه يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر (م١٢٠ع).
- كل موظف استعمل وظيفته في وقف تنفيذ الأوامر الصادرة من الحكومة أو أحكام القوانين واللوائح أو تأخير تحصيل الأموال والرسوم أو وقف تنفيذ حكم أو أمر صادر من المحكمة أو من أية جهة مختصة يعاقب بالحبس والعزل (م١٢٣/١ع).
- كذلك اذا امتنع الموظف عمداً عن تنفيذ حكم أو أمر مما ذكر
- كل موظف أمر بتعذيب متهم أو فعل ذلك بنفسه لحمله على الاعتراف يعاقب بالأشغال الشاقة أو السجن من ثلاث سنوات الى عشر (م١٢٦/١ع).
- واذا مات المجني عليه يحكم بالعقوبة المقررة للقتل عمداً.
- كل موظف وكل شخص مكلف بخدمة عمومية استعمل القسوة مع الناس اعتماداً على وظيفته يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنة (م١٢٩ع).
- كل موظف عام أمر بعقاب المحكوم عليه أو عاقبه بنفسه بأشد من العقوبة المحكوم بها عليه قانوناً أو بعقوبة لم يحكم بها عليه يعاقب بالسجن (م١٢٧ع).
- اذا دخل الموظف - اعتماداً على وظيفته - منزل أحد الناس بغير رضائه فيما عدا الأحوال المبينة في القانون أو بدون مراعاة القواعد

المقررة فيه يعاقب بالحبس أو بغرامة لا تزيد على مائتي جنيه (م١٢٨ع).

- الموظف الذي يشتري - بناء على سطوة وظيفته - ملكاً عقاراً كان أو منقولا قهراً عن مالكه أو استولى على ذلك بغير حق أو أكره المالك علي بيع ما ذكر لشخص آخر يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنتين والعزل فضلا عن رد الشيء المغتصب أو قيمته ان لم يوجد عيناً (م١٣٠ع).
- كل موظف أوجب علي الناس عملا في غير الحالات التي يجيز فيها القانون ذلك (الكوارث) أو استخدم أشخاصاً في غير الأعمال التي جمعوا لها بمقتضى القانون. يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنتين وبالعزل فضلا عن الحكم عليه بقيمة الأجور المستحقة لمن استخدمهم بغير حق (م١٣١ع).
- كل موظف أخذ قهراً من أحد الناس الكائنة مساكنهم بطريق مأموريته وبدون ثمن أو بثمن بخس مالا أو علفا يحكم عليه بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاثة شهور أو بغرامة لا تتجاوز مائتي جنيه وبالعزل في الحالتين فضلا عن الحكم برد ثمن الأشياء المؤخوذة لمستحقيها (م١٣٢ع).

ثالثاً: حماية الزي الرسمي:

جعل القانون ارتكاب الجرائم مع التزيي بدون وجه حق بزي رجل الأمن (مستخدمي الحكومة) ظرفاً مشدداً كما في السرقة (م٣١٧ع) أو في القبض على أي شخص أو حبسه بدون أمر يعاقب بالسجن، واذا هدده بالقتل أو عذبه بدنياً يعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة (١٥ سنة) (م٢٨٢ع).

رابعاً: افشاء الأسرار:

اذا وصل سر شخص لرجل الأمن أو من في حكمه بمقتضى وظيفته وأؤتمن عليه وأفشى هذا السر في غير الأحوال التي يلزمه القانون فيها بتبليغ ذلك، يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر أو بغرامة لا تتجاوز خمسمائة جنيه (م٣١٠ع).

خامساً: ضوابط تشريعية لحماية الوظيفة العامة من الاتجار بها وكذا حماية المال العام من اختلاسه:

وهي جنايات الرشوة واختلاس المال العام

كما يعاقب النصوص على الاخلال بالوظيفة أو عدم استمرار العمل:

- اذا ترك ثلاثة على الأقل من الموظفين عملهم ولو في صورة الاستقالة أو امتنعوا عمداً عن تأدية واجبات وظيفتهم متفقين على ذلك، أو مبتغين منه تحقيق غرض مشترك عوقب كل منهم بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهرولا تتجاوزسنة وبغرامة لا تزيد على مائة جنيه (م٢٤ع).
- وتضاعف العقوبة اذا كان الترك أو الامتناع عن العمل من شأنه أن يجعل حياة الناس أو صحتهم أو أمنهم في خطر أو كان من شأنه أن يحدث اضطراباً أو فتنة بين الناس أو اذا أضر بمصلحة عامة.
- كما يعاقب القانون كل من يعتدى أو يشرع في الاعتداءعلى حق الموظفين العموميين في العمل باستعمال القوة أو العنف أو الارهاب أو التهديد أو التدابير غير المشروعة

تلك نماذج من الضوابط التشريعية في قانون العقوبات المصري لحماية رجل الأمن أو من في حكمه من نفسه أو على نفسه أو على عمله أو وظيفته اذا تجرد من القيم الأخلاقية أو سلك السلوك المنحرف نتيجة لتخليه عن تلك القيم.

الخاتمـــــــة

قلنا ان رجل الأمن ـ عندما يلتحق بالخدمة ـ يكون قد جاوز سن التحصيل واكتساب القيم والأخلاقيات ومن شب على شيء شاب عليه ولكن هل معنى ذلك ان نرضخ لذلك؟ كلا! ان الاصلاح قائم وجائز في كل مراحل العمر ولكن كلما تجاوزنا سن النمو كلما صعبت المهمة ولكن مالا يدرك كله لا يترك كله

ان المهمة في تلقين القيم والأخلاقيات وطريقة تنفيذ العمليات والاجراءات ومراعاة الانسانية في كل ذلك تقع على القائمين على التدريب وعلى القائمين بالتدريب. أما مهمة القائمين على التدريب في هذا المجال فتنحصر في اختيار الموضوعات وتضمين خطة لتدريب هذه المهمة ثم في اختيار القائمين بالتدريب الذين عليهم تقع مهمة التلقين والتهذيب والتشذيب.

ويقول الرسول (ﷺ) «من سئل عن علم فمنعه لجمه الله بلجام من نار يوم القيامة». كما تنبغي الاجابة على كل تساؤل بالصدق والامانة ولا ينبغي احباط نفس السائل عن شيء وعليهم اتباع التوجيه القرآني: ﴿ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾[1]

وليكونوا قدوة حسنة يقتدي بها ولا يكونوا كمن قال الله فيهم ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب﴾[2].

---

١ ـ سورة البقرة. الآية: ١٥٩

٢ ـ سورة البقرة. الآية: ٤٤

هذا واذا أحسن الاختيار منذ البداية ووضعت القواعد والشروط ومواصفات الصلاحية للعمل في مجال الأمن فان التعليم والتدريب والتلقين ـ وان كان على كبر في السن ـ الا انه ينتج آثاره ويحقق أهدافه وأغراضه.

هذا من ناحية أجهزة الشرطة ولكن الأمر لا يقتصر على ذلك، بل ان انشاء الأجيال الصالحة مطلب قومي، لذلك فان مهمة تنشئة الصغار وعلى مراحل سنوات العمر تقع على البيت أولا ثم المدرسة ثم المسجد ثم الشارع.

وامام المسجد مطالب بأن يعرض على الناس مشكلات المجتمع ورأى الدين فيربط بين الدين والحياة[1]. وان يهتم ببناء النفوس وتأكيد الايجابيات في تكوين الفرد والاسرة والمجتمع والكيان الاسلامي ويحذر من الاخطاء والانحرافات كما يشخص الطبيب الداء ثم يصف الدواء غير يائسٍ من رحمة الله ويعرض ـ فيما يعرض ـ الى السمو الخلقي في الاسلام والى منزلة مكارم الاخلاق عند الله وعند الرسول. وليس هناك مانع من التعرض الى نقيضة أو نقائض رجال الأمن ـ فهم أفراد من المجتمع. ويبين الطريق الى الخلاص منها وكيف يلجأ الى الدين ففيه الملاذ وفيه المخرج. ان الانحراف والتخلي عن القيم الأخلاقية اعتداء على المجتمع[2] ويقول صلوات الله عليه «ان الرجل لترفع له يوم القيامة صحيفته حتى يرى أنه ناج. فما تزال مظالم بني آدم تتبعه حتى ما يبقى له حسنة ويحمل عليه من

---

١ ـ الدكتور عبدالعزيز كامل. الدعوة والمجتمع. من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية (الأزهر) ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م. التوجيه الاجتماعي في الاسلام. ص: ٦٩

٢ ـ التوجيه الاجتماعي في الاسلام. المرجع السابق. ص: ١٠٥

سيئاتهم» وقوله صلوات الله عليه «ان المفلس من أتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته. فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار».

وليعلم الآباء ان القدوة تبدأ من الوالدين ، فالطفل يحسن الظن دائماً بأبويه ويثق فيهما وتؤثر نصائحهما في نفسيته كما تؤثر فيه توجيهاتهما وارشادهما ولذا فلا يلجأ الأبوان أو أحدهما الى القسوة والغلظة ولا الى اللين والتسيب بل يجب أن يكونا بين ذلك قواما[1]

ويأتي بعد ذلك دور المدرسة والمدرس امام التلاميذ، فاذ تخلى عن رسالته أفسد جيلا وخان أمانته، ولقد عملت الصهيونية على ترويج شعارات اللامبالاة والحرية الفوضوية حتى تنهار القيم والأخلاق، ومن ثم تمكن السيطرة المادية على اقتصاديات العالم[2]

ولا تكفي القدوة الحسنة لخلق الشخصية السوية بل لابد من الموعظة الى جانبها ولابد من تكرار المواعظ حتى لا يغفل الفرد أو ينسى، فالتكرار هام جداً في العملية التربوية[3].

والقرآن الحكيم مليء بالمواعظ والتوجيهات وربما تتكرر نفس الموعظة في كثير من الآيات.

---

١ ـ الدكتور حسن الشرقاوي. نحو تربية اسلامية مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ١٩٨٣م. ص: ١٨٥ ١٨٦

٢ ـ الدكتور حسن الشرقاوي. المرجع السابق. ص: ١٨٦

٣ ـ الدكتور حسن الشرقاوي. المرجع السابق. ص: ٢١٥

المراجـــــــع

أولا: المراجع العربية

١ ـ خطرات في الدين والنفس. أحمد ماهر البقري. مؤسسة شباب الجامعة: الاسكندرية. ١٩٧٧م.

٢ ـ الدعوة والمجتمع الدكتور عبدالعزيز كامل. مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر: القاهرة. ١٩٧٢م.

٣ ـ المجتمع الاسلامي في ظل الاسلام الشيخ محمد أبو زهرة. الطبعة الثانية. الدار السعودية: ١٤٠١هـ.

٤ ـ مفاهيم في علم الاجتماع. الدكتور ابراهيم خليفة. المكتب الجامعي الحديث: القاهرة.

٥ ـ ممارسة خدمة الفرد. الأستاذ محمود حسن محمد. الطبعة الأولى. دار النهضة العربية: بيروت. ١٩٨٣م.

٦ ـ س توجيهات الاسلام الشيخ محمود شلتوت. مطبوعات الادارة العامة للثقافة الاسلامية: القاهرة. ١٣٧٩هـ.

٧ ـ نحو تربية اسلامية الدكتور حسن الشرقاوي. مؤسسة شباب الجامعة: الاسكندرية. ١٩٨٣٠م.

٨ ـ الوسائل العلمية الحديثة في الاثبات الجنائي اللواء الدكتور حسين محمود ابراهيم. دار النهضة: القاهرة. ١٩٨١م.

ثانياً المراجع الأجنبية

1. Biestek, Jlisc: "The Casework Relationship", Chicago, Loyola Univ. Press, 1957.
2. Gwyne Peirson: "Police Operations", Nelson Hall, Law Enforcement Series, N.Y., 1976.
3. Gwyne Peirson: Ibid.
4. Mayer J. & N. Tennis: "The Client Speaks", N.Y. Atherton Press, 1970.
5. Perlman, Hellin Harris: "Social Casework A Problem Solving Process", Chicago Univ. Press, 1957.
6. Richardson J.: "Modern Scientific Evidence: Civil & Criminal", Anderson Co., Kentucky, U.S.A., 1961.
7. William J. Osterloh: "Police Supervisory Practice", John Wiley & Sons, N.Y., 1975.

القيم الأخلاقية في ضوء الثقافة العربية والاسلامية

الدكتور عبدالوهاب عبدالعزيز الشيشاني(*)

القيم الأخلاقية

الخلق خصيصة ينفرد بها الانسان، وبه يتميّز، وعلى مقياسه يسمو بانسانيته أو يهبط، وبه يرتقي في سلم الحضارة والمدنية أو ينحدر، وهو مناط مدحه أو ذمه، ومقياس التزامه أو تفريطه، ومعيار عدالته أو فسقه وانحرافه.

وفارق التضايف في وصف الخلق في الانسان فرداً كان أو جماعة، بين الحسن أو القبح، الخير أو الشر، البر أو الاثم، انما يرتبط أساساً بالقيم التي تحكم السلوك الأخلاقي في الانسان، من حيث توجيهها الى استهداف الخير والحق والمصلحة، ومن حيث توظيفها على النطاق الانساني، ومن حيث شمولها في اطار التطبيق على كافة أوجه الحياة.

هذا الفارق في التضايف لوصف الأخلاق وتمييزها من جهة، والقيم التي تحكمها من جهة أخرى يجعل تصور كل منهما ـ هدفاً واطاراً ونطاقاً ـ موقوفاً على تصور الآخر، ولذات السبب ـ وحيث أن معرفة الشيء فرع من تصوره ـ لزم أن نعمد ابتداء الى تعقب

(*) عضو الهيئة العلمية بالمعهد العالي للعلوم الأمنية بالمركز العربي للدراسات الأمنيةوالتدريب بالرياض.

مصطلح (القيم الأخلاقية) موضوع هذا البحث ـ بل والندوة ـ من الناحية اللغوية، لتبين دلالة اللفظ على ذاتية المعنى، ومن الناحية المعجمية لنتبين دلالة المصطلح وتكوينه لمفهوم محدد، فتتشكل بالدلالتين (حقيقتها) أعني حقيقة مصطلح (القيم الأخلاقية) عند الاطلاق، ثم نعقب على ذلك ببيان أصولها، فمراتبها في الشريعة الاسلامية وخصائصها، لننتهي ـ بإذن الله ـ الى بيان أهميتها وأثرها في المجتمع، ودورها في تحقيق الكفاية الأدائية في عمل القائمين على أجهزة الأمن والممارسين له.

المطلب الأول: التعريف والمفهوم:

الخَلْق، والخُلُق (بالفتح والضم) أصله : التقدير المستقيم[1]، وهما في الأصل واحد[2]لكن خص الخَلْقُ: بالهيئات والأشكال، والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلق: بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة، وعليه فقد حدد مفهومه الاصلاحي بأنه هيئة للنفس تصدر عنها الأفعال بيسر وسهوله، من غير حاجة الى فكر وروية[3]، فما كان مجبولا عليه الانسان من الصفات السلوكية أو مدعواً اليه من جهة الخَلق سمي خُلُوقاً، فاذا كانت حالة النفس البشرية بحيث تصدر

---

١ ـ الأصفهاني: معجم مفردات الفاظ القرآن الكريم. ص: ١٥٨

٢ ـ المرجع السابق. ص: ١٥٩

٣ ـ الجرجاني: التعريفات ص: ٥٤. ابن منظور: لسان العرب. المجلد الأول. ص: ٨٨٩. وقيل «حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر، من غير حاجة الى فكر وروية» راجع المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة جـ١ ص: ٢٥٢ والمعجم الفلسفي الصادر عن مجمع القاهرة. ص: ٨١. والمعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا جـ ١ ص: ٥٣٩ ـ ٥٤٠.

عنها «الأفعال الجميلة» المستحسنة عقلا وشرعاً بسهولة ويسر، سميت تلك الحالة بالخُلق الكريم، وان كان الصادر عنها أفعالا قبيحة سميت تلك الهيئة خلقاً سيئاً.

وأكدوا على صفة السلوك المباشر كرد فعل شبه تلقائي حيال الحدث، باعتباره شرطاً لصحة اطلاق وصف الخُلق عليه، لذا لم يصفوا من يصدر عنه بذل المال على النذور والحالات العارضة أو الملجئة بصفة السخاء أو الكرم، ولا من تكلف السكوت عند الغضب بجهد، أو سبق روية بأن خلقه (الحلم).

والفارق بين الوصفين انما يتعلق بسبق النية ونوع الطوية في الانسان، فمن وطنّ طويته على ارادة الخير كان رد فعله التلقائي المباشر لوقوع الفعل خلقاً كريماً خيّراً، لأنه يكون ـ والحال كذلك ـ قد سبق توظيف مراده لارادة الخير، وبالتالي سيكون سلوكه المباشر في ضوء تلك القيمة التي وطنّ نفسه على احترامها، وتقديمها على كل ما عداها، والعكس صحيح تماماً، ومن هنا قال علماء اللغة:

ان أصل الخُلق: التقدير المستقيم، ولذا عرّفوا الخَلْق والخُلُق ـ بتسكين اللام وضمها ـ بأنه: السجية، والطبع، والمروءة، والدين والعادة[1].

يقول العلامة ابن منظور: وحقيقة الخلق «انه لصورة الانسان الباطنة وهي نفسه، وأوصافها، ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق

---

١ ـ ترتيب القاموس المحيط للزواوي، جـ ٢ ص: ١٠٠ وابن منظور: المرجع السابق. ص: ٨٩٩. والمعجم الوسيط ص: ٢٥٢ والجرجاني ص: ٥٤.

لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولها أوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة، أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع، كقوله (ﷺ) «أكثر ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله وحسن الخلق» وقوله: «اكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً» وقوله: «بعثت لأتتم مكارم الأخلاق»[1]

أما تعريف القيم:

قيمة الشيء في اللغة: قدوه[2] وهو قدر الشيء على الحقيقة بما له من صفتي الثبات والديمومة، من حيث كونه مطلوباً ومرغوباً فيه، فتطلق القيمة على كل ما هو جدير باهتمام المرء وعنايته، لاعتبارات مختلفة من الناحيتين (الذاتية) و (الموضوعية) وذلك على النحو التالي:

---

١ ـ العلامة ابن منظور: نفس المرجع والصفحة. وراجع في الأحاديث قوله: «أكمل المؤمنين ايماناً .» أخرجه الترمذي في باب الايمان رقم (٢٦١٥)، وقوله «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» موطأ مالك جـ ٢ ص: ٩٠٤ في باب الخلق. وانظر جامع الأصول لابن الأثير جـ ٤ ص: ٤ ـ ٥. ومختصر المقاصد الحسنة للزرقاني ص: ٦٩

٢ ـ د. جميل صليبا. المعجم الفلسفي. جـ ٢ ص: ٢١٢ والمعجم الفلسفي عن مجمع اللغة العربية في القاهرة ص: ١٥١ وذكر أن القيم ضربان (ذاتية تخص الشيء لذاته، وتكون صفات كامنة فيه، (وغير ذاتية) وتلك تكون خارجة عن طبيعة الشيء ذاته، وبالتالي فلا تدخل في ماهيته.
فما ركز من الأول في طبيعة الأقوال: دخل في المعرفة.
وما ركز منها في طبيعة الأفعال: عد من الأخلاق.
وما دخل منها في طبيعة الأشياء: كان من الفنون.
وهذه الثلاثة غير قابلة للتغيّر في ضوء الظروف والملابسات لذا تطلب لذاتها.

فمن الناحية الذاتية: يطلق لفظ القيمة على الصفة التي تجعل الشيء مطلوباً ومرغوباً فيه من قبل شخص ما، أو مجموعة ـ قلت أو كثرت ـ من الأشخاص، سواء تعلق ذلك بقيمته من حيث الحاجة اليه في الاستعمال، أو التبادل، أو الندرة، أو التقدير والاحترام.

ومن الناحية الموضوعية: يطلق لفظ القيمة على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقاً التقدير لذاته (كالحق والخير والجمال) اذا كانت قيمته مطلقة اما اذا كانت قيمته محدودة بغرض معين، فإن قيمته تكون اضافية.

وفرق بين الشيئين أحياناً بالنظر فيما اذا كانت القيمة (حقيقية) أو (اعتبارية) فالقيمة الحقيقية مبنية على ما يتمتع به الشيء في ذاته من (منفعة) كقيمة الطعام والقيمة الاعتبارية مبنية على (الثقة) كقيمة الأوراق النقدية والحوالات والسندات.

ويطلق لفظ القيمة في علم الأخلاق: على ما يدل عليه لفظ (الخير) بحيث تكون قيمة الفعل نابعة من قيمة ما اشتمل عليه من الخير، فكلما كانت القيمة بين الفعل والصورة الغائية للخير اكمل، كانت قيمة الفعل أكبر، وتسمى «الصور الغائية المرتسمة على صفحات الذهن بالقيمة المثالية»[1] وهي عند المثاليين العقليين من الفلاسفة (الأصل الذي تبنى عليه أحكام القيم الانشائية للفعل) التي تأمر بالفعل أو الترك.

وقيمة الشيء مبدأ وجوده، وليس وجود الشيء مبدأ قيمته، كما قال به أصحاب الفلسفة الوجودية، وعللوا: بأن مبدأ كمال الشيء

---

١ ـ الدكتور جميل صليبا. المرجع السابق. ص: ٢١٣ جـ ٢

وخيرته هو حصوله على الوجود الذي يخصه، وتلك مغالطة لسببين:

الأول: أن قيمة الشيء ووجوده: يدلان على حقيقة واحدة، ولا يمكن تصور أحد هذين المعنيين دون تصور الآخر، والا لما كان للقيمة وجود ولا للوجود قيمة

الثاني: ان الله سبحانه وتعالى الموجد لم يخلق شيئاً عبثاً بل لحكمة غابت عنا أو عرفت، فوجود الشيء دليل على حكمة الصانع ولحكمته سبحانه وتعالى أوجده[1].

والقيم الأخلاقية في الاسلام أسس معيارية أقرتها الشريعة، ثابتة الاعتبار والاستمرار والدوام لحماية المقاصد التي جاءت لتحقيقها في الخلق، ولها حكمها.

المطلب الثاني: حقيقة الأخلاق في الاسلام:

الأخلاق في المنهج الاسلامي ليست نظاماً خاصاً أو تعاليم خاصة، أو قيماً منفصلة عن الكيان الكلي لهذا المنهج، وأجزائه المكونة له كتنظيم تشريعي حقوقي ولكنها معطيات توجيهية خيرة تمثل السياج السلوكي الذي يجب أن يلتزم به المسلم لتتوافق طبائعه في القول والفعل والتصرف سجية وخلقاً مع مقاصد هذا المنهج في تحقيق المعروف ومنع المنكر واحقاق الحق وابطال الباطل، واقرار العدل ودفع الظلم وترسيخ قواعد الخير والمصلحة، ومنع معطيات الشر والمفسدة

والقيم الأخلاقية في المفهوم الاسلامي: قوى نفسية مركوزة الأصول في الفطر البشرية، ثم جاءت الأسس التصورية العقدية،

---

١ ـ المرجع السابق: جـ ٢ ص: ٢١٤

والقواعد السلوكية في دين الله تعالى على لسان رسله وأنبيائه فسددت، وصوبت، ووحدت لها المقاييس ومعطيات الحفظ والصيانة وصولا لمقاصد التشريع الالهي في تحقيق عبودية العباد، لرب العباد ومنزلة الخلافة لهذا الانسان وعمارة الأرض مرتكزة في كل ذلك على أساس (التوحيد والعدل).

والهدف العملي والغاية المباشرة لأمر الشريعة ونهيها في المجال الأخلاقي ترشيد البواعث العقلية، وتهذيب الدوافع الغريزية الجامحة في الانسان ولجمها عن المنكر والاثم والمعصية والبغي، قال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾[1]

وقد ورد في الأثر: (لو وسع الناس العدل لما أمرهم الله تعالى بالاحسان).

وفيه يقول الأصفهاني: «إعلم أن العبادة أعم من المكرمة (اي الاحسان) فان كل مكرمة عبادة، وليس كل عبادة مكرمة، والفرق بينهما أن للعبادات فرائض معلومة وحدوداً مرسومة وتاركها يصير ظالماً متعديا، والمكارم غير ذلك ولن يستكمل الانسان مكارم الشريعة ما لم يقم بوظائف العبادات، فتحري العبادات من باب العدالة وتحري المكارم من باب الافضال والنقل»[2]

وقد اختلف أهل العلم في أصل (حسن الخلق) أهو غريزة؟ أم مكتسب؟

---

١ سورة النحل. الآية: ٩٠

٢ ـ الأصفهاني. الذريعة الى مكارم الشريعة. ص: ٣٤ وليست مكارم الأخلاق كلها في حكم النقل، والفرق واضح.

فذهب جمهور من تناول ذلك الى القول بأنه (غريزة) واستدلوا بحديث الفطرة في قوله (ﷺ) «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه» وقوله (ﷺ): «ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم»[1]

قال القاضي في الشفاء[2] إن أخلاق الأنبياء قد جبلوا عليها، وانها جود الهي لم تكن برياضة ولا اكتساب، بل جبلوا عليها في أصل الخلقة».

وقال القرطبي: الخلق جبله في نوع الانسان، وهم في ذلك متفاوتون، فمن غلب عليه شيء من ذلك كان محموداً، والا فهو مأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محموداً، وكذا ان كان ضعيفاً فيرتاض صاحبه حتى يقوى، وقد وقع في حديث الأشج أنه (ﷺ) قال له: «ان فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة، قال: يارسول الله قديماً كان أو حديثاً، قال: قديماً، قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله تعالى»[3] فترديد السؤال عليه وتقريره يشعر بأن في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب[4]».

وذهب قوم الى القول بكسبية الأخلاق، واحتجوا بايمان من آمن بعد كفر وصلاح الأمر بحسن الخلق بعد غواية.

---

١ رواه البخاري واللفظ له.

٢ ـ الجزء الأول. ص ٧٣.

٣ ـ رواه أحمد والنسائي وصححه ابن حبان.

٤ ـ العسقلاني: المواهب اللدنية جـ ١ ص: ١٨٧ والشيخ محمد يونس عبدالجبار الجانب الخلقي للنبي الكريم. بحوث المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية ص: ٣٨٩ المجلد الرابع.

والتحقيق أن الأمر ليس على اطلاقه، بل فيه تفصيل، فالفطري من الأخلاق ـ فيما ذهبوا اليه ـ هو ذلك الاستعداد الفطري لدى الانسان لتقبل الحق، وتمثله لبعض الأخلاق الأساسية في اطارها (نطاقها) الانساني، وتلك هي الصفات التي يقوم عليها أساس وجود الانسان الخلقي، وهي صفات لابد منها لاستمرار وجوده، وتحقيق كسبه ونجاحه، كقوة الارادة ومضاء العزيمة، والنشاط والصبر والولوع بالغاية، وميله للخير، مالم يقلع عنه.

أما الالتزام الخلقي المتمثل في توظيف هذه الأخلاق الأساسية لغاية الغايات وهي طلب رضوان الله تعالى وجعل اطار التناول في ممارستها: جوانب الحياة كافة، ونطاق التناول الخير العام، فانها أمور لا تَسْتدُّ وجهة الانسان اليها الا في ظل هداية شرع معصوم.

وعليه فالاستعداد الفطري لتقبل الخير في دخيلة كل انسان غريزي فطري، أما استكمال المطلوب منها في كافة جوانب الحياة وتأصيلها وتوسيع نطاق تطبيقها فأمر كسبي لا يعصم عن الزلل فيه الا هداية دين حق.

المطلب الثالث: أصول الأخلاق ومراتبها:

عني علماء المسلمين بالأخلاق ومقاييس السلوك عناية فائقة، فلقد أفردت لها المؤلفات وصنفت فيها المجلدات، فمنهم من قرنها بأحكام الفقه المرتبطة بها تصنيفاً[1] ومنهم من أفردها في اطار المقاييس

---

١ ـ ومنهم الامام الغزالي رحمه الله في كتابه الجامع احياء علوم الدين. أنظر الجزء السابع من طبعة دار الفكر

الشرعية والمفاهيم الثقافية العامة[1] ولقد انصبت العناية في هذا الصدد على أعظم خلق الله خلقاً، وأكملهم أدباً، وأرفعهم مثلا في كل ذلك وهو رسول الله (ﷺ).

وقد أثْرَت هذه العناية بالأخلاق الاسلامية ومجالات التصنيف فيها، وفي السيرة النبوية المطهرة جوانب متعددة تتناول أصول الأخلاق، وشعبها وأحكامها واختلفت أوجه التقسيم والتنويع والترتيب حسب الزاوية التي تناول كل منهم. موضوع الأخلاق، فمنهم من تناولها مس الجانب الوصفي ومنهم من تناولها من الجانب الموضوعي ومنهم من تناولها من الجانب الوظيفي[2]

ونكتفي هنا بتفصيل القول فيما تعلق ببيان أصولها وشعب تقسيمها من الناحية الموضوعية.

يقول الامام الغزالي:[3]

أمهات الأخلاق وأصولها أربعة: هي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل.

---

١ ـ ومنهم الامام الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين وانظر كتب السيرة والتاريخ عن عهد النبوة، والذريعة الى مكارم الشريعة للاصفهاني واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيميه ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامه، والفوائد لابن القيم وغيرها كثير

٢ ـ يراجع من طلب الاستزادة كتاب الذريعة الى مكارم الشريعة للاصفهاني في الفصل المتعلق بأحوال الانسان وفضيلته وأخلاقه الأبواب من ١٧ ٣٤ وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي جـ ٢ ص ٢٢٧ وما بعدها، والأدب المفرد للامام البخاري بالنسبة لأدلة الأحكام المتعلقة بشعب الأخلاق.

٣ الغزالي. احياء علوم الدين. جـ ٨. ص: ٩٨ وما بعدها.

فالحكمة: حالة للنفس، بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية.

والعدل: قوة للنفس، بها تسوس الغضب والشهوة، وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على مقتضاها.

والشجاعة: انقياد قوة الغضب للعقل في اقدامها واحجامها.

والعفة: تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع.

فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة للأخلاق تصدر الأخلاق الجميلة كلها.

فالأصل الأول: الحكمة.

ومصدر الحكمة العقل، فإذا اعتدلت قوة العقل:

حصل: حسن التدبير، وجودة الذهن، وثقابة الرأي، واصابة الظن، والتفطن لدقائق الأعمال، وخفايا أمراض النفوس، وآفاتها

ومن افراطها: يحصل المكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يحصل البله والحمق والجنون.

الأصل الثاني: الشجاعة.

وخلق الشجاعة يصدر منه الكرم والنجدة، والشهامة وكسر النفس، والاحتمال والحلم والثبات، وكظم الغيظ والوقار، والتودد وامثالها، وهي أخلاق محمودة، ومن افراطها: يكون التهور فيصدر عنه الصلف والبذخ والاستشاطة والكبر والعجب.

وأما من تفريطها: فتكون المهانة والذلة، والجزع والخسة، وصغر النفس والتراجع عن الحق والواجب.

الأصل الثالث: العفة:

وخلق العفة يصدر عنه السخاء والحياء، والصبر، والمسامحة، والقناعة، والورع، واللطافة، والمساعدة، والظرف، وقلة الطمع، وأما ميلها الى الافراط والتفريط: فيحصل منه الحرص، والشره، والوقاحة، والخبث، والتبذير، والتقصير، والرياء، والهتكة، والمجانة، والعبث، والملق، والحسد، والشماته، والتذلل للأغنياء، واستحقار الفقراء وغير ذلك.

فأمهات محاسن الأخلاق وأصولها هذه الفضائل الأربع وهي «الحكمة والشجاعة والعفة والعدل»، وما ذكر دونها فهي فروع لها.

ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأصول الأربعة الا رسول الله (ﷺ)، والناس بعده متفاوتون في ذلك، ولابد من الحسن فيها جميعاً حتى يتم حسن الخلق، فاذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت وتوازنت حصل (حسن الخلق) وهو جماع التوازن لقوى أربع في النفس البشرية وهي: (قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل).

أما **قوة العلم**: فهي مركوزة في العقل، وصلاحها يتم بادراك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، فاذا صلحت قوة العلم حققت ثمرة (الحكمة)، والحكمة رأس كل خلق حسن، وفيها يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾[1].

---

١ - سورة البقرة. الآية: ٢٦٩

أما **قوة الغضب**: فحسنها في أن تحكم حركتها انقباضاً وانبساطاً على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك قوة الشهوة: فحسنها وصلاحها في أن تكون تحت ملكة الحكمة التي رسمتها معايير الشرع في الحل والحرمة.

أما **قوة العدل**: فتظهر في القدرة على ضبط الشهوة والغضب تحت اشارة العقل والشرع، وقوة العدل: هي القدرة على تحقيق التوازن بين مطالب النفس وحدود الشرع، مغلباً فيه مراد الله تعالى في أمره ونهيه عن مراد النفس ونوازعها.

فمن استوت فيه هذه الخلال واعتدلت فهو حسن الخلق ومن اعتدل فيه بعضها فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى المتوفر خاصة[1].

وبذلك يتبين أنه لايوجد شيء واحد في حياة المسلم الا وله مواصفات سلوكية وأخلاقية تكيفه، ورسول الله (ﷺ) هو القدوة والأسوة والمثل الأعلى لحياة المسلم، ومقاييس سلوكه

المطلب الرابع: خصائص القيم الأخلاقية في الاسلام:

الاسلام منهج حياة شامل وكامل، أنزله الله تعالى ليكون نبراساً يحكم حركة حياة الانسان على الأرض، ويحدد علاقته بالخالق سبحانه، والكون والانسان والدنيا والآخرة والأخلاق في هذا

---

١ المرجع السابق جـ ٨. ص: ٩٨-٩٩ والأصفهاني: المرجع السابق ١٠ ١٣

المنهج تمثل ـ على التحقيق[1] ـ شطر الدين كله وهي بذلك تتمتع بنفس الخصائص المتميزة لهذا النظام ككل عقيدة وعبادة ونظام حياة أخلاقي واجتماعي كامل[2]

ومن أبرز الخصائص التي تميز النظام الأخلاقي في هذا المنهج أنه:

رباني المصدر، انساني الأبعاد، شمولي النطاق، متوازن الاطار، واقعي المعالجة، واضح المعالم، ثابت الأسس

١ ـ رباني المصدر والهدف:

وتلك أعظم خصيصة تميز الأخلاق الاسلامية، فالوحي الالهي هو الذي حدد أسسها ووضع أصولها على منهج متسق مع فطرة الخلق، وأصل الوجود في الانسان، فالقرآن الكريم يُعنى برسم المعالم الرئيسية لأدب المسلم في مجتمعه، وخلق المسلم في علاقاته وتصرفاته، في جميع مراحل حياته، في اطار معالمها الرئيسية والأساسية في نظام العلاقة التي تربطه: بالوالدين براً واحسانا، والأقرباء رفقاً وحنواً وعوناً وباليتيم رعاية وبالجار اكراماً، وبابن السبيل عوناً وبالرقاب تحريراً وفكاً لقيد الرق، وبالخدم رفقاً وعطفاً، وبالفقراء والمساكين عوناً واحساناً.

---

١ ـ الامام الغزالي: المرجع السابق. ص: ٨٨. وذلك يؤكد مدى حرص الاسلام على أخلاق المسلم التي تمثل مقياس التزامه بالمنهج.

٢ ـ سأعتمد في هذا المطلب نسجاً ومعالجة على كتابي: خصائص التصوير الاسلامي ومقوماته المرحوم سيد قطب، الخصائص العامة للاسلام. الدكتور يوسف القرضاوي.

كما أمر الحق سبحانه بالصدق في القول، والاخلاص في العمل وغض الأبصار وحفظ الفروج وأداء الأمانات، والتواصي بالحق والحكم بالعدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوفاء بالعهود وترك المنكرات، والنأي عن الفواحش والموبقات واجتناب الشرك والسحر والزنا، والسَكر وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات وغير ذلك من أصول الأخلاق وأسسها، ولم يقتصر تأديب القرآن للمسلم على الأصول والأسس بل شمل الفروع والجزئيات الخاصة حتى بالحياة اليومية، كأدب الزيارة والاستئذان وأدب المشي والكلام والتزاور والجلوس وكافة أوجه الحياة التي تناولتها نصوص الكتاب والسنة بالبيان والتفصيل مخاطبة العقول، ومستثيرة الضمائر ومرشدة للبواعث ومهذبة للدوافع ومربية للنفوس.

فكان من ثمرات هذه الخصيصة ان عمقت أسس الالتزام والاحترام لهذه المقاييس والأحكام في نفوس المؤمنين، وحفظتها من مصادرات الأمزجة وزيغ الشهوات وضلالات الهوى، لعمق الاجلال والاحترام اللذين أرست قواعدهما في النفوس والعقول ربانية المصدر والهدف.

٢ ـ انساني الأبعاد:

إن المنهج الاسلامي والنظام أو الجانب الأخلاقي فيه يبرز بكل وضوح وجلاء مدى العناية التي أولاها الاسلام للجانب الانساني، فقد اعطاه مساحة واسعة في تعاليمه وتوجيهاته وأحكامه، تتجاوز شطر نصوص التنزيل، ومواقع التقعيد والتأويل ولا غرو فهذا

التشريع قد جاء ليحقق قاعدة التوحيد والعدل في منهج استخلاف الانسان في الأرض، فالانسان هو الحقيقة الأولى في أهداف هذا المنهج، وهو الركيزة الأولى في اقامة منهج الله وتوطيد أركانه في الأرض.

فأحكام الأخلاق، وقوانين السلوك في هذا المنهج قد تغيت ليس فقط تكريم الانسان واظهار تميزه وتفضيله على سائر المخلوقات فحسب، بل لجعله (خليفة الله تعالى على الأرض)[1] باحتيازه الصلاحية الخلقية، والتبعية المعنوية، وتفرده بهما، ولعله يكفي لابراز هذا المعنى ايراد نماذج من الحديث النبوي الشريف.

روى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «أحب الأعمال الى الله سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربه، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً. ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب اليَّ من أن اعتكف في هذا المسجد ـ يعني مسجد رسول الله (ﷺ) ـ شهراً، ومن عظم غيظه ـ ولو شاء ان يمضيه أمضاه ـ ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام».

وقوله (ﷺ): «ليس شيء خيراً من ألف مثله الا الانسان[2]».

وقوله (ﷺ): «ان الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال»[3]

---

١ ـ أبو الأعلى المودودي. الأسس الأخلاقية للحركة الاسلامية ص: ٢٠

٢ أنظر المقاصد الحسنة ٣٥٣ ومختصره للزرقاني ص: ١٧١ برقم (٨٤٨) تحقيق الدكتور محمد لطفي الصباغ.

٣ ابن مالك. الموطأ. جـ ٢ ص: ٩٠٤ وجامع الأصول لابن الأثير. جـ ٤. ص: ٤

٣ ـ شمولي النطاق:

الأخلاق في النظام الاسلامي شاملة لكافة جوانب الحياة الانسانية، ولا يوجد في حياة المسلم تحت مظلة هذا المنهج الأخلاقي شيء واحد يتعلق بنظام حياته ووجوده الا وله أخلاق تكيفه، وتوجيهات ترشده سواء ما تعلق منها بالفرد باعتباره جسماً له ضروراته، وحاجاته ومكملاته أو عقلا له مواهبه وآفاقه وبواعثه أو نفساً لها مشاعرها ودوافعها ووجدانها وأشواقها وعواطفها.

أو تلك الجوانب المتعلقة بحياة المسلم باعتباره عضواً فاعلا، ولبنة راسخة في كيان مجتمعه، زوجاً كان أو أباً أو ابنا أو قريباً، أو تلك المتعلقة بنظامه السياسي حاكماً كان أو محكوماً، راع كان أو رعية، أو تلك المتعلقة بموجودات الكون المحيطة بحياته من النباتات والحيوانات بل والجمادات كذلك

هذا الشمول هو الذي ميّز هذا المنهج عن كل المناهج والفلسفات الأخرى من خلال هذه الخصيصة، فهو لم يتناول جانباً ويغفل عن آخر، بل يستوعب بشموله كافة الأزمنة والأمكنة والأشخاص والأجناس في كل الأحوال، ومن كافة الزوايا والجوانب، وبهذا «تسمع كل أذن الانشودة التي تحبها، وتجد كل نفس الأمنية التي تهفو اليها»[1] ويأنس كل موجود بأثره ودوره وأهميته.

٤ ـ متوازن الاطار:

هذا التوازن الذي نأى به الاسلام عن افراط أصحاب الفلسفات المثالية الذين صوروا المقاييس والقيم الأخلاقية نجوما عليا في برج عاجي ملكي علوي ترنو لمثالياته الأبصار ولا تناله، كما نأى به

١ ـ الدكتور محمد عبدالله دراز كلمات في مبادىء علم الأخلاق معزواً. أنظر يوسف القرضاوي. الخصائص العامة للاسلام. ص: ١٠٩، ١١٠

عن تفريط الواقعيين من الغلاة الذين ارادوا للانسان قيماً ومقاييس من الأخلاق لا تليق به وجاءت وسطيه الاسلام في تشريعه الاخلاقي فسمت بتلك المقاييس بالقدر المتوافق مع طباع البشر، وقدراتهم، منسجما فيه ومتوافقاً مع نظرته لهذا الكائن المكرم، باعتبار ما يجتمع في تركيبه وخصائصه من روحانية الملاك وغريزة الحيوان، وما تهيأ له في فطرته وأصل تكوينه لسلوك النجدين قال تعالى: ﴿ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾[1].

وهكذا جاءت توجيهات الاسلام في مجال الأخلاق متوازنة مع وسطية هذا المنهج في نظرته لحقيقة الانسان، وحياة الانسان، جامعاً بين الحسنيين ومعداً انسانه للحسنى في الداريين.

٥ ـ واقعي المعالجة:

جاءت أخلاق الاسلام بمعالجات واقعية لحياة الانسان، راعت فيها الطاقة المتوسطة لقدرة الانسان على الاستجابة، فاعترفت بالضعف البشري وبعبء الدوافع النفسية الغريزية، وبالحاجات المادية الضرورية، فقد راعى الاسلام عند رسمه للتشريعات الأخلاقية حاجات النفس، وضرورات البدن، واعترف بمراتب الخلق في الالتزام (الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق للخيرات).

فالظالم لنفسه: هو من يستعمل قوته الشهوانية من غير التفات الى مقتضيات العقل والشرع[2]، والمقتصد: وهو من خلط عملا صالحاً وآخر سيئاً

١ ـ سورة الشمس. الآيات: ٧ ـ ١٠

٢ الأصفهاني. المرجع السابق. ص: ٩٠، ابن تيمية الفتاوى. جـ ١٠ ص: ٦

ثم السابق في الخيرات: فهو المقرب لسبقه، الحريص في التزامه، (المتفاني في الوفاء بواجباته وتبعاته ومسئولياته

وقد قال الحق سبحانه في وصفهم: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾[1]

فلم يفترض المنهج الأخلاقي في التقي أن يكون ملاكاً لا يخطىء ولا يرتكب ما يعيب، معصوماً من كل ذنب، بل جاءت معالجته واقعية، قال (ﷺ):

«كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»

٦ - واضح المعالم وثابت الأسس:

المنهج الأخلاقي في التشريع الاسلامي واضح المعالم، ثابت الأسس لا يجهل معه قيمة العنصر الأخلاقي في مسار الحياة، وأهميته في حفظ معالم انسانية الانسان، وحفظ كرامته وتحقيق أمنه أمن الحياة، وأمنه في المجتمع وأمن المصير، فأولى دلائل المسلم على الفضيلة غريزة العدل في نفسه، يقول رسول الله (ﷺ): «البر حسن الخلق، والاثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»[2] ويقول: «استفت قلبك وان أفتاك الناس أو أفتوك» هذا فيما جهلت حكمه.

فالمسلم لا يجهل وهو يتبع الكتاب والسنة - ان الله يأمر بالعدل والاحسان وانه سبحانه ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، والاثم والظلم وهضم الحقوق

---

١ - سورة فاطر الآية: ٣٢

٢ رواه مسلم.

فأسس الأخلاق الاسلامية تكمن عظمتها في بساطتها ووضوحها، فالجاهل بها لديه الدليل على وجودها، وجل مقاييسها يعلمها بفطرته، والعالم بها لديه عليها دليلان: دليل فطرته ودليل علمه

وأسس الأخلاق الاسلامية ثابتة راسخة باقية، لأنها مؤسسة على ما أودع في الانسان من استعدادات وخصائص في فطرته، والفطرة ثابتة لا تتغير ولا تتحور أو تتبدل﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم﴾فلم تكن يوماً ولن تكون نهبا للأمزجة البشرية، وهوى نفوسها لتزيد فيها أو تنقص[1].

المطلب الخامس: أهمية القيم الأخلاقية وأثرها في المجتمع:

تمثل الأخلاق في الاسلام ـ والقيم التي ترتكز عليها فتشكل مقوماتها ـ شطر الدين، ومن هنا تتضح أهميتها في نظر الاسلام ويشهد لذلك قول النبي (ﷺ) «انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2]، وبه يمتدح الله تعالى نبيه (ﷺ) ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾[3] والخلق العظيم الذي وصف الله تعالى به رسوله «هو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقاً»، هكذا قال مجاهد وغيره، وهو تأويل القرآن، كما

---

١ ـ وذلك كما فعلت المسيحية منذ عصر النهضة وبدايات هذا القرن حيث عزلت السياسة ثم الجنس عن الأخلاق ثم عزلت الاقتصاد عن الأخلاق، فهدمت ثلاثة أرباع البناء الأخلاقي في السلوك الاجتماعي بدعاوى مختلفة ومختلة ومهزورة تعجز عن أن تواجه منطق عقل أو مقياس دين.

٢ ـ وفي رواية (صالح الأخلاق) فيض القدير جـ ٣ ص: ٢٠٣ ومثله في الموطأ جـ ٢ ص: ٩٠٤ وفي رواية (حسن الأخلاق) صححه ابن عبد البر من وجوه عن أبي هريرة رضي الله عنه

٣ سورة القلم. الآية: ٤.

قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن، وحقيقته المبادرة الى امتثال ما يحبه الله تعالى بطيب نفس، وانشراح صدر»[1]

فالأخلاق الكريمة هي مناط رقي الانسان وفلاحه، وهي عنوان انسانية الانسان، وان القوة الحقيقية المؤثرة في حياة الشعوب والأمم هي القوة الأخلاقية وذلك لأن الأخلاق هي مؤشر الالتزام، وعنوان الولاء للفكرة أو الشرعة أو الحاكم، وفي المقياس الحضاري لابد من كل ذلك، كما لا مناص عن كسب ولاء الأفراد لكل ذلك ضماناً لالتزامهم، وبدون ذلك لا تقوم حضارة، واذا اختل مقياس التزام الأفراد للأسس التي قامت عليها الحضارة ـ أية حضارة ـ فانها تكون مستضافة للأفول والانهيار.

وفي الصفحات التالية سنتعقب كليات تلك المعاني وجزئياتها بايجاز في النقاط التالية:

أ ـ مصادر القيم الأخلاقية ودورها في بناء الكيان التشريعي والاجتماعي.

ب ـ أسباب فشل الحضارة المادية في النهوض بالحياة الاجتماعية.

جـ ـ منهج الاسلام في حفظ القيم الأخلاقية في المجتمع.

١ ـ مصادر القيم الأخلاقية ودورها في بناء الكيان التشريعي والاجتماعي:

حددت الشريعة الاسلامية مقاييس القيم الأخلاقية التي تحكم سلوك الفرد والجماعة جنباً الى جنب مع أحكام الحقوق والحدود، باعتبار أن تلك القيم ليست جزءا منبتاً عن الكيان العام في هذا

---

١ ابن تيمية. الفتاوى. الجزء ١٠ ص: ٦٥٨

التشريع، بل تمثل أحكام تلك القيم جزءاً لا يقبل الفصل بحال عن التشريع ككل، لذا نجد ان مصادر التشريع الاسلامي عقيدة وعبادة وأخلاقاً ومعاملات تمثل كياناً تشريعياً واحداً تتحد فيه المصادر والمقاصد.

والتشريع الاسلامي له مصدران أساسيان هما: النص والاجتهاد.

فالنص (الكتاب والسنة) والاجتهاد له مصادر اتفق جمهور العلماء على بعضها واختلفوا في البعض الآخر، فالمصادر الاجتهادية المتفق عليها عند الجمهور (الاجماع والقياس) والمصادر المختلف فيها كثيرة (كالاستحسان والاستصحاب والمصالح المرسلة وشرع من قبلنا) وغيرها

وبالنسبة للقيم الأخلاقية فان أصولها ثابتة باقية لا تقبل النقض أو التعديل باعتبارها مؤسسة على دواعي الفطرة في الكيان البشري، والفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها غير قابلة للتبديل والتغيير، قال تعالى:﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾.

وباعتبار ان القيم الأخلاقية مقاييس لضبط السلوك البشري وتنظيمه ليتوافق (السلوك البشري) وأهداف التنظيم الاجتماعي في نظاميته ومقاصده، فان لتحديد مقاييس تلك القيم ووضوحها وثباتها دوراً حاسماً في نجاح النظام أو فشله باعتبار أن التزام الأفراد بمقتضيات الأمر والنهي في التنفيذ هو ركن ركين يرتبط بقاعدة التطبيق للنظام سلباً وايجاباً

وفي النظم الوضعية القائمة في سوح التطبيق اليوم، لا تجد تلك المسلمة صداها المطلوب من القبول، فكثير من فقهاء القانون الوضعي يتردد في قبول تحديد حرية الأفراد بمقاييس الأخلاق[1]

فمن هؤلاء الفقيه الغربي (هيك) وحجته : أن اخضاع الحرية الشخصية لرجال الدين أمر غير محتمل. ويقول: «ان الحرية الشخصية تئن تحت وطأة المادة السادسة من القانون الفرنسي»[2]

ويرون أن تحديد الأخلاق بوضع مقاييس لها أمر مستعصٍ على الحل، وذلك لأن التشريع والفقه عجزا عن وضع مقياس للقاعدة الخلقية وخلص هؤلاء الفقهاء بناء على ذلك الرأي الى النتائج التالية:

أولا: أن مسألة الأخلاق تثير اعتراضات جمة من حيث اعتبارها قيداً من القيود الواردة على اتفاقات الأفراد.

ثانياً: أن تحديد الأخلاق والقيم التي تحكمها انما يرجع الى كل عصر ومثله العليا في تحديد الأخلاق، فالأخلاق مختلفة زماناً ومكاناً

ثالثاً: انه لا يمكن وضع مقياس لما هو من قواعد الأخلاق، وما هو ضدها الا عن طريق الأمثال[3]

وقد أيد هذا الاتجاه الفقه والقضاء في الغرب، وقضت محكمة (بيزانسون) في فرنسا: أن الهبات التي تعقد بين رجل وامرأة بقصد

---

١ الدكتور مختار القاضي. أصول القانون. ص: ١١٩

٢ - نفس المرجع والصفحة.

٣ نفس المرجع ص: ١٢٠

تسهيل معاشرة غير مشروعة (الزنى) وكانت المعاشرة قد تمت فعلا فلا يعتبر ذلك مخالفاً للقانون وبه قضت محكمة النقض الفرنسية كذلك[1].

وبه يتضح بجلاء مدى ما وصلت اليه غواية الأمم التي تعتبر نفسها متحضرة متنورة - عندما يتصدى انسانها لمزاحمة منصب الألوهية في التشريع، وان هذا التناقض مبعثه غياب القواعد التي تحكم القيم الأخلاقية.

٢ - أسباب فشل الحضارة المادية في النهوض بالحياة الاجتماعية:

اذا استعرضنا النسب المرتفعة جداً للجرائم[2] في تلك المجتمعات المتحضرة وربطنا ذلك بمقاييس القيم الأخلاقية التي تحكم الواقع الاجتماعي لديها، ثم قارناها بأوضاع مغايرة، أمكننا فهم مدى أهمية الأخلاق والقيم الغائية التي تحكمها لحماية الكيان التشريعي والمصلحة العامة في تحقيق الأمن، وضمان تطبيق القانون في المجتمع.

فالأخلاق والقيم الأخلاقية في العالم الغربي كانت ذات يوم مستمدة من الدين وهو المعين الوحيد لا معين غيره للأخلاق، وكان

---

١ - راجع ١٩٢٥/٣/١٠م رقم ٨١٩ ص: ٨٢٩ س ٦ق. والمرجع السابق ص: ١٢١

٢ - تبلغ نسبة الزيادة السنوية للجريمة في الولايات المتحدة أكثر من ١٤٪ حسبما ورد في تقرير المدعي العام الفيدرالي (رامزي كلارك) وغالبية تلك الجرائم تتراوح بين السرقة والقتل والاغتصاب والرشوة والتزوير والسطو المسلح، راجع نظام التجريم والعقاب في الاسلام مقارنا بالنظم الوضعية المستشار علي منصور. ط ١ ص: ٣٢٠

هناك مصدران للرصيد الأخلاقي في أوروبا هما: الديانة المسيحية، والأخلاق الاسلامية التي تأثرت بها بفعل احتكاك الأوروبين بالمسلمين[1]

ولكن الديانة التي أدخلها (قسطنطين) الى أوروبا قد صبغت الحياة الأوروبية بمسحة مؤثرة من القيم الوثنية، جاءت عن طريق مؤثرات الوثنية، الرومانية واليونانية القديمة والثقافة (الهيلينية) فانحرفت أوروبا عن عبادة الله، وعادت بأخلاقها وآدابها الى سالف عهدها في الوثنية وهكذا رسّخ عهد النهضة وما تلاه مبدأ فصل السياسة عن الأخلاق، واستبدلت أوروبا الدين بالفلسفة وصاغت قواعد أخلاقها على أسس جديدة، يجمعها قاسم مشترك هو كراهية الدين، ثم فصل الاقتصاد بكل أبعاده المادية عن الأخلاق ثم فصل الجنس عن الأخلاق فرسخت الأفكار الالحادية ثم سلطت عليهم اليهودية الحاقدة معاول هدم أخرى للدين وللأخلاق معاً باسم العلم، فجاء (ماركس) يقول: «ان العفة الجنسية من فضائل المجتمع الاقطاعي البائس».

وجاء (فرويد) يقول: «إن الانسان لا يحقق ذاته بغير الاشباع الجنسي وكل قيد من دين أو أخلاق أو مجتمع أو تقاليد هو قيد باطل ومدمر لطاقات الانسان وهو كبت غير مشروع»[2]

ثم جاء (دوركايم) يقول: «ان الأخلاقيين يتخذون واجبات المرء نحو نفسه أسسا للأخلاق وكذا الأمر فيما يتعلق بالدين، فان الناس يرون أنه وليد الخواطر التي تثيرها القوى الطبيعية الكبرى أو

---

١ ـ الشيخ محمد قطب. جاهلية القرن العشرين ص: ١٥١ وما بعدها.
٢ المرجع السابق. ص: ١٥٧

بعض الشخصيات الفذة لدى الانسان (يقصد الرسل والأنبياء والقديسين) ولكن ليس س الممكن تطبيق هذه الطريقة على الظواهر الاجتماعية، اللهم الا اذا أردنا .تشويه طبيعتها»[1]

ويقول مضيفاً هذه البثور القبيحة المشوهة على وجه الحقيقة، منكراً هذه المرة وجود العاطفة الدينية في الانسان، ليصل بذلك الى انكار الأساس الديني للأخلاق، ومنكراً كذلك وجود الفطرة في الانسان ليهدم بذلك الأساس الذي تبنى عليه غريزة الخلق في الانسان «ومن هذا القبيل ان بعض هؤلاء العلماء يقول بوجود عاطفة دينية فطرية لدى الانسان، وان هذا الأخير مزود بحد أدنى سن الغيرة الجنسية والبر بالوالدين ومحبة الأبناء وغير ذلك من العواطف وقد أراد بعضهم تفسير نشأة كل مس الديس والزواج والأسرة على هذا النحو، ولكن التاريخ يوقفنا على أن هذه النزعات ليست فطرية في الانسان.

ثم ينتهي الى انكار وجود قواعد أو أسس للأخلاق، وبالتالي فلا وجود لشيء اسمه (خُلُق) أو علم للأخلاق فيقول:

«وحينئذ فانه يمكن القول بناء على الرأي السالف بأنه: لا وجود لتفاصيل القواعد القانونية والخلقية في ذاتها ومن ثم فليس من الممكن ـ تبعا لهذا الرأي ـ أن تصبح مجموعة القواعد الخلقية التي لا وجود لها في ذاتها موضوعاً لعلم الأخلاق.

---

١ ـ دوركايم. قواعد المنهج في علم الاجتماع. ترجمة الدكتور محمود قاسم. الطبعة الثانية ص: ١٦٥

هذا غيض من فيض السموم التي بثها أفاعي اليهود[1] وربائبهم في روع المسيحي في الغرب وتلقفها هذا بشره بالغ، أعانت عليه ذكريات غير سارة بينه وبين الكنيسة والبابا والدين لم يكن أفجعها (محاكم التفتيش) ذكريات بعمر قرون، رسف فيها العقل والقلب في قيود الجهل، وحمأة الهيمنة في رجال الدين التي لم ينزل الله تعالى بها من سلطان في أي دين، مضافاً الى ذلك أشواق الغربي الى ذكريات أمجاد دولة روما الفاجرة، وعبادة الجسد والمال والجنس وفي أقل من قرنين انهارت أخلاق أوروبا التي احتاجت في بنائها الى عدة قرون[2].

نعم. لقد أفسدت الأخلاق، وشوهت القيم الثقافية، فتهاوت أركان الحياة الاجتماعية ركناً بعد ركن. حتى (وصل الفساد الى العظم) ـ كما يقول الشيخ محمد قطب[3] وتضاءل رصيد هذه الحياة يوماً بعد يوم لأن أثر التآكل بفعل الفساد قد بلغ اللباب، ولئن كان هذا التآكل تغطية قشة التقدم الصناعي والمادي الذي لا يبهر الا الجهلة ولا يخدع الا التافهين فلا، يلبث الأمر أن يصل الى الأخذ بغتة ـ حسب التعبير القرآني ـ ففي لحظة ــ سينهار هذا البناء المنخور والذي لا تحفظه الا قشة (الردع النووي) حالياً، ولا يكون الأخذ ـ

---

١ ـ في كشف صلة الصهيونية العالمية بهؤلاء (اليهود الثلاثة) رواد وأساطنة وواضعو (علم النفس) و(علم الاجتماع) و (نظرية رأس المال) الكتاب المقدس للشيوعية العالمية، يراجع على سبيل المثال فصل (اليهود الثلاثة) في كتاب التطور والثبات في حياة البشرية وجاهلية القرن العشرين ص: ١٤٣ وما بعدها، وبروتكولات حكماء صهيون، والاسلام يتحدى لتوحيد الدين خان ص: ٤٩ وما بعدها.

٢ ـ أنظر: جاهلية القرن العشرين. ص: ١٦٧

٣ المرجع السابق. ص: ١٦٨

في سنن الله تعالى إلا بغتة وشاملا ما لم يتم تدارك هذا الخراب الذي لم تعد سوح أمتنا بمأمن منه فلقد بدأت أبوابنا ـ وأيم الحق ـ تطرق الآن من الداخل !!

ان أوروبا التي أفسدت مفاهيمها وقيمها الأخلاقية قد هللت (لجون هكسلي) عندما قال: «ان الدين الذي يصلح لهذا العصر يلزم أن يكون مثل البوذية، فان اله العصر الحاضر هو (مجتمعه وأهدافه السياسية) ورسول هذا الاله هو (البرلمان الذي يوجه الشعب الى ما يرضيه) ومعابد هذا الاله العصري ليست المساجد ولا الكنائس القديمة، انما هي المصانع الكبيرة والسدود العظيمة» ذلك كان الهدف النهائي لمن نظم موجات المد الالحادي موجة في أثر موجة للوصول الى الغاء فكرة الاله من الأذهان نهائياً، لتنقطع آخر صلة بين الانسان وأية قيم أخلاقية وبمعنى آخر صلة الانسان بأي معنى للالتزام لينفرط عقد بناء الحياة الاجتماعية وأمنها، فينهار من بعد كل شيء.

ويصف (هارولد لاسكي) هذا الواقع فيقول:

«عالم اليوم يعاني الشعور بخيبة الأمل، ان جيلنا فقد قيمه، لقد حل الشك محل اليقين واليأس محل الأمل، ويبدو أن الاتجاهات الحديثة في الفن والأدب والموسيقى لا تعترف بالتراث الذي أبدع روائع الماضي، ان الحرب قد سددت ضربتها القاضية للمعتقدات الدينية التي كانت مقياسا دائماً للسلوك، لقد انتصرت روح الأفكار على روح اليقين، ان منهج الغرب في الحياة قد وضع في بوتقة الانصهار، في مقدور هذا العلم أن يتيح الرفاهية المادية، ولكنه يبدو عاجزاً عن اكتشاف مبادىء الرضا الروحي، منذ قرن مضى كان في مقدور الدين أن يتيح للكثيرين الأمل في تعويض ما نالهم من الحياة، وذلك في الحياة الأخرى، أما الآن فقد أطفأ العلم أنوار السماء، ولا

طريق للخلاص الا في ظل الحاضر العاجل»[1] وهارولدلاسكي من أكفأ شهود أزمة الغرب الأخلاقية نقداً وتحليلا

وننهي هذه الفقرة بشهادة شاهد آخر من شهود الأزمة، يقول (الفيلسوف كولتون) يصف حالة الشارع في الغرب في أوج أزمته:

«لم تكد الحرب العالمية تضع أوزارها حتى سفت الأخلاق الى الحضيض، وهبطت الى أعمق الأغوار وغطى الأدب والفن والصحافة والمسرح طوفان من الخلاعة، وتمجيد الطبيعة الحيوانية وغصت الشوارع ببنات الهوى، وفتحت أمام عيون البوليس مواخير لممارسة اللواط، وممارسة السحاق، فاكتظت الأولى بالرجال والغلمان، وامتلأت الأخرى بالنساء والفتيات وانتشرت القهوات (المراقص) التي تدير حفلات الرقص في الدور الأول، وغرف النوم في الدور الثاني[2]، ولا يحتاج الأمر لمزيد شهود أو تعليق!! على الأثر الذي تركته فكرة سلخ الجانب الجنسي عن الأخلاق في المجتمعات المادية، وقد تقصدت سوق شهادات عنها على اعتبار أنها قد تكون غائبة عن أذهان من لم يعايش تلك المجتمعات، أما عن آثار عزل السياسة والاقتصاد عن الجانب الأخلاقي في مفاهيم صانعي هذه الحضارة والقائمين عليها فاننا ـ كما لايخفى على أحد ـ من أولى الأمم التي اكتوت وما زالت تكتوي بآثار الظلم والعدوان في فلسطين وأفغانستان وغيرهما

لقد مرت مؤامرة اليهود على الغرب، فدمرت الحياة الاجتماعية فيه رغم تحذيرات مفكريه، وعلمائه وفلاسفته من أمثال (فولتير) الذي أدرك أهمية القيم الدينية لحفظ الأخلاق ـ رغم أنه كان لا يؤمن

---

١ ـ راجع موقف الاسلام من العلم والفلسفة الغربية أنور الجندي. ص: ٢٦

٢ الأستاذ أنور الجندي. الحرية. ص: ٣٠ ٣١

بحقائق تتعلق بما وراء الطبيعة (الغيب) كما يقول الأستاذ وحيد الدين خان ويقول (فولتير).

«إن أهمية الاله والحياة الآخرة عظيمة جداً، حيث انهما أساسان لاقامة المبادىء الأخلاقية ويضيف بأن العقيدة وحدها كفيلة بايجاد اطار أخلاقي أفضل للمجتمع ولو أن هذه العقيدة زالت فلن تجد دافعاً ـ في انسان ـ للعمل الطيب، وسيترتب على ذلك انهيار النظام الاجتماعي»[1].

ويقول القاضي (ماثيو هالدس) ـ من كبار قضاة القرن السابع عشر ـ:

«ان القول بأن الدين خدعة، هو بمثابة ابطال المسئوليات التي تقع على عاتقنا لاستقرار النظام الاجتماعي»[2].

ويقر (كريسي موريسون)[3] وهو واحد من شهود العالم المادي في أزمته الاخلاقية بأن «الاحتشام، والاحترام، والسخاء، وعظمة الأخلاق، والقيم والمشاعر السامية، وكل ما يمكن اعتباره نفحات إلهية لا يمكن الحصول عليها عن طريق الالحاد فالالحاد نوع من الانانية، وحيث يجلس الانسان على كرسي الله».

---

١ فولتير قصة الفلسفة ص: ٤٩٦. عن وحيد الدين خان الاسلام يتحدى. ص: ١٣٨

٢ الاسلام يتحدى. ص: ١٣٧

٣ ـ وهو رئيس أكاديمية نيويورك سابقاً في كتابه: الانسان لا يقوم وحده ص: ١٢٣ عن الاسلام يتحدى ص: ٢٦٠

ثم يستطرد محذراً: «لسوف تقضى هذه الحضارة بدون العقيدة والدين»

«لسوف يتحول النظام الى فوضى».

«سوف ينعدم التوازن، وضبط النفس، والتمسك (الالتزام)».

«سوف يتفشى الشر في كل مكان» ثم ينتهى الى القول:

«انها لحاجة ملحة ان نقوي مس صلتنا وعلاقتنا بالله».

٣ ـ منهج الاسلام في حفظ القيم الأخلاقية:

قدمنا أن القيم الأخلاقية في الاسلام تمثل شطر أحكام هذا الدين، فيحكم أسسها تصوره العقدي، وتستند في أهدافها الى مقاصده التي جاء لحمايتها في الخلق، وتتبلور غايتها في مرتكزات الغاية الكلية لهذا الدين في أن تكون كلمة الله تعالى هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وصولا بالانسان الى:

١ ـ تحقيق العبودية لله تعالى.

٢ ـ تحقيق منزلة (الخلافة لله تعالى) بالاستخلاف في الأرض.

٣ ـ تحقيق عمارة الأرض.

ليست القيم الأخلاقية في الاسلام منفصلة عن الدين ككل في أسسها ولا أهدافها ولا غاياتها الكلية، فليست القيم الأخلاقية اذاً منطلقات للترف الفكري أو الحضاري قابلة لأن تحترم مرة وتغفل مرات حسب ظروف أو مقاييس الضرورة المادية، ـ كما يزعمون ـ بل هي نظام متكامل للواقع المعاش، يحكم حركة حياة الانسان المسلم في سره وجهره، لأنها تشكل المقاييس الأساسية لحياة المسلم، لذا فقد واكب تقرير تشريعها نظام حفظها بدءاً بالأسس الدستورية لكيان

الجماعة المسلمة والأمة المسلمة ومروراً بأحكام التنظيم المرفقي والمؤسسي لحفظها وضمان التزامها وانتهاء بقاعدة التضامن والتكافل بين الأفراد والجماعة المسلمة لتحقيق المعروف (وهو الاسلام بنظمه وتشريعاته الحقوقية والأخلاقية) ومنع المنكر «أي كل ما يخالف أحكام الاسلام»، وفي الصفحات التالية نبرز ـ باذن الله ـ بايجاز تلك الجوانب المقررة في ـ المنهج الاسلامي ـ لحفظ القيم الأخلاقية في الأمة وذلك على النحو التالي:

أ ـ في الاطار الدستوري:

تحتل القيم الأخلاقية ضمن أحكام تشريعات المنهج الاسلامي مكانة جليلة اذ تمثل العنصر الأول في عناصر الكيان الدستوري الاسلامي، هي:

١ ـ المنهج، وهو شرع الله الحاكم (عقيدة وعبادة ونظام أخلاق).

٢ ـ الأمة: وهم المؤمنون بشرع الله الملتزمون بأحكامه، المكونون بمجموعهم ـ حكاماً ومحكومين، ولاة ورعية ـ الأمة الاسلامية

٣ ـ التوازن: بين المنهج والأمة[1]، فالأمة تنقسم ـ في المنهج ـ الى فريقين (الولاة والرعية) عند تحديد المسئولية والتبعة في حماية المنهج بقيمه التشريعية والأخلاقية، فان كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) يؤكدان

---

١ ـ وذلك خلافاً للفكر الوضعي الذي ترسم ديمقراطياته السياسية في الغرب، وتطبيقاته في غالبية دول العالم اطار العناصر الدستورية للدولة على النحو التالي:

أ ـ السلطة. ب ـ الحرية جـ ـ التوازن بين السلطة والحرية على افتراض ـ له ما يبرره في فلسفة تلك النظم ـ ان الحرية دوماً في خطر من تغول السلطة وانتهاكاتها.

أن مسئولية الحفظ والحماية لقيم المنهج تبعة في أعناق الجميع على أساس تضامني.

يقول الحق سبحانه: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾[1]

ويقول جل ذكره: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾[2].

ويقول كذلك: ﴿لاخير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس﴾[3]

وبين رسول الله (ﷺ) فحوى ذلك في قوله: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الامام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها فكلكم راع ومسئول عن رعيته»[4]

ويقول عليه السلام: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه، فتدعون فلا يستجيب لكم»[5].

---

١ - سورة آل عمران. الآية: ١١٠

٢ - سورة التوبة الآية: ٧١

٣ - سورة النساء. الآية: ١١٤

٤ - متفق عليه، البخاري جـ ٢ ص: ٣١٧ مسلم برقم (١٨٢٩).

٥ - سنن الترمذي في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الفتن) ورياض الصالحين. ص: ٩٩

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ﷺ) قال: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر»[1].

فأصل الولاية من ثابت للكل[2]، وهي فريضة من فرائض الله تعالى قائمة في عنق كل مسم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله[3] وقد اتفقت الأمة الاسلامية كلها على ذلك[4]، بل اجعمت عليه[5]، تحقيقاً لشرعية المنهج في التطبيق وحفظاً لمشروعيته

ب ـ في الاطار التنظيمي:

يبرز اهتمام الشريعة الاسلامية بالقيم الأخلاقية وحفظها في أجلى صورة وأقواها وأكثرها تأكيداً وحسماً في اطار التنظيم الاداري وسلطاته التنفيذية والقضائية وذلك على النحو التالي:ـ

أولا: أنه حدد بشكل واضح وصريح ان هدف جميع الولايات في النظام الاسلامي ومقصودها الأول هو تحقيق المعروف ومنع المنكر[6] اي ان هدف أيه وظيفة في سلم التنظيم الاداري أو القضائي أو العسكري أو أية وظيفة عامة يتولاها شخص في مجال الخدمة العامة في هذا النظام هو: حفظ وحماية القيم التي جاءت الشريعة الاسلامية لتحقيقها، وهي: حفظ قيم الحقوق والأخلاق، والعمل

١ ـ الترغيب والترهيب. جـ ٤ ص: ١٢

٢ مختصر منهاج القاصدين. ابن قدامه المقدسي ص: ١٢٥

٣ ـ قاله (الضحاك) راجع فتح القدير جـ ٢ ص: ٣٦٣

٤ ـ قاله (ابن حزم) راجع الفصل في المال والأهواء والنحل ص: ٥٩٢.

٥ ـ النووي بشرح مسلم جـ ١ ص: ٥١ والجامع لأحكام القرآن جـ ٤. ص: ٤٨.

٦ ـ شيخ الاسلام ابن تيمية: السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، ص: ٧

على استثمار مقاصدهما في المجتمع الاسلامي، وهو المعبر عنه في أقوال العلماء اختصاراً بـ (حفظ ما حصل، وتحقيق ما لم يحصل)[1]

ثانياً شرطا التولية لأية وظيفة عامة في سلك الخدمة العامة في النظام الاسلامي هما (الكفاءة والأمانة)[2] ويقصد بالأمانة تحقق مقياس التزام المولىّ للوظيفة أو الولاية العامة في التمسك بالقيم (الولائية والالتزامية) وتتعلق الولائية بالايمان بمنهج الله تعالى، والتسليم بمراد الله فيه، وعدم تقديم مراد نفسه على مراد الله في شيء منه

أما الالتزامية فتتعلق بمدى تمثل المولىّ بأوامر الله تعالى في نفسه، واتباعه لسنة رسوله (ﷺ) في سلوكه وتصرفاته، وهو المعبر عنه في المصطلح القرآني بـ (التقوى) بحيث يكون التزامه بالقيم، وردود فعله في الاستجابة لمقتضياتها في سلوكه تلقائيا فياضاً من غير حاجة منه لفكر وروية في كل موقف بين الاستجابة المصلحية وعدمها، وتلك هي الاستجابة للقيم الأخلاقية ومقتضياتها وأهدافها.

وقد ترجم فقهاء المسلمين[3] في أبواب الأمانة والسياسة الشرعية في مصنفاتهم مدلول الأمانة بـ (العدالة) فجعلوها شرطاً للتولية في

---

١ ـ امام الحرمين الجويني. غياث الأمم في التياث الظلم. ص: ١١٧، وابن عاشور. المقاصد. ص: ٦٣

٢ ـ شيخ الاسلام ابن تيمية: المرجع السابق ص: ١١ وما بعدها حيث يقول: يجب ان يعين في كل ولاية الأصلح لها كفاءة وأمانة ثم الأمثل فالأمثل في الكفاءة والقوة في كل ولاية بحسبها أما الأمانة فهي أصل معتبر في كل ولاية لا مندوحة عنه البتة فصاحب الولاية مؤتمن على قيم هذا المنهج تحقيقاً وتطبيقاً ولا أمانة لخائن.

٣ راجع على سبيل المثال. الماوردي. الأحكام السلطانية.

كل ولاية أو وظيفة عامة «كالامامة العظمى»[1] «رئاسة الدولة والحكومة» وأهل الاختيار لها[2] ووزارة التفويض (رئاسة الوزراء)[3] ووزارة التنفيذ (كافة المناصب الوزارية المتخصصة[4]، والامارة العامة والخاصة[5]، والامارة على الجند والجهاد والحروب والولاية عليها[6]، وولاية القضاء[7] وولاية المظالم[8]، والولاية على امامة الصلوات والصدقات والحج[9]، والولاية على الحسبة[10]، (والعدالة) بشروطها الجامعة[11] «معتبرة في كل ولاية أن يكون صادق اللهجة، ظاهر الأمانة، عفيفاً عن المحارم، متوقياً المآثم، بعيداً عن الريب، مأموناً في الرضا والغضب، مستعملا لمروءة مثله في دينه ودنياه» فاذا تكاملت فيه (اي في صاحب كل ولاية) فهي العدالة التي تجوز معها شهادته، وتصح معها ولايته، وان انخرم منها وصف منع الشهادة والولاية[12]

---

١ ، ٢ ـ الماوردي. الأحكام السلطانية. ص: ٦

٣ ـ المرجع السابق. ص: ٢٢

٤ المرجع نفسه ص: ٢٦

٥ ـ المرجع نفسه. ص: ٣٠و٣٣.

٦ المرجع نفسه. ص: ٣٥

٧ المرجع نفسه ص: ٦٦

٨ المرجع نفسه. ص: ٧٧

٩ المرجع نفسه. ص: ١٠٢و١٠٨ وص: ١١٣

١٠ المرجع نفسه ص: ٢٤١

١١ ـ راجع في مدلولها وأنواعها وأحكامها. الأصفهاني. الذريعة في مكارم الشريعة. ص: ٢٤١ وما بعدها.

١٢ ـ هذا في ولاية القضاء تفصيلا اصطفيناه من بينها لأن منصب القضاء يجمع بين الحكم والفصل والتنفيذ والاجتهاد. الماوردي. الأحكام السلطانية. ص: ٦٦

وبعد

تلك هي القيم الاخلاقية في النظام الاسلامي، وذلك هو منهجها، وتلك هي أحكامها، وذلك هو منطق توافقها وتوازنها مع فطر البشر، واحاطتها بمصالح البشر «ألاله الخلق والأمر» تبارك الله رب العالمين.

المراجـــــع

١ ـ الأحكام السلطانية لأبي الحسن الماوردي.

٢ ـ احياء علوم الدين. للامام الغزالي. دار الفكر: بيروت. الطبعة الأولى. ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٣ ـ أدب الدنيا والدين. لأبي الحسن الماوردي. تحقيق مصطفى السقا. دار الكتب العلمية: بيروت. الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٤ ـ الأدب المفرد. للامام البخاري. دار مكتبة الحياة: بيروت. ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٥ ـ الأسس الأخلاقية للحركة الاسلامية. الشيخ أبو الأعلى المودودي. مؤسسة الرسالة. ١٩٧١م.

٦ ـ الاسلام يتحدى. وحيد الدين خان. ترجمة ظفر الاسلام خان. المختار الاسلامي. الطبعة السابعة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م. القاهرة.

٧ ـ أصول القانون. الدكتور مختار القاضي. مطبعة لجنة البيان العربي. القاهرة. الطبعة الثانية. ١٩٦٠م

٨ ـ بحوث المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية. ادارة احياء التراث الاسلامي قطر اشراف ومراجعة الشيخ عبدالله بن ابراهيم الأنصاري. الطبعة الأولى. ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م. من بحوثه التي رجعنا اليها بحث الشيخ محمد يونس عبدالجبار بعنوان. الجانب الخلقي للنبي الكريم (ﷺ). المجلد الرابع

٩ ـ ترتيب القاموس المحيط. على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة. الطاهر أحمد الزاوي. دار الفكر الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

١٠ ـ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف. مطبعة الحلبي القاهرة.

١١ ـ التعريفات لأبي الحسن علي بن محمد الجرجاني. الدار التونسية للنشر ١٩٧١م

١٢ ـ توجيه الشباب في ضوء الثقافة العربية والاسلامية بحث مقدم الى الندوة العلمية الثانية عشرة التي عقدها المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. بالاشتراك مع الجامعة الأردنية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٣ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول. للامام مجد الدين ابن الأثير الجرزي. تحقيق عبدالقادر الأرناءوط. مكتبة دار البيان: ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

١٤ ـ جاهلية القرن العشرين. الشيخ محمد قطب. دار الشروق: بيروت الثقافة. الدار البيضاء. المغرب. ١٩٨٣م.

١٥ ـ الحرية. أنور الجندي. سلسلة معلمة الاسلام برقم (٤٤) دار الاعتصام: القاهرة. بدون تاريخ

١٦ ـ خصائص التصور الاسلامي ومقوماته الشيخ سيد قطب. الطبعة الثانية. مطبعة الحلبي: القاهرة. ١٩٦٥م.

١٧ ـ الخصائص العامة للاسلام. الدكتور يوسف القرضاوي. الطبعة الثانية. مكتبة وهبة: القاهرة. ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٨ ـ دور أجهزة القضاء في مكافحة الجريمة الدكتور عبدالوهاب الشيشاني. أبحاث الندوة العلمية سبل التنسيق بين الأجهزة المعنية بمكافحة الجريمة. دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. ١٤٠٧هـ.

١٩ ـ الذريعة الى مكارم الشريعة. العلامة راغب الأصفهاني. دار الكتب العلمية .بيروت. لبنان. ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٢٠ ـ السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية شيخ الاسلام ابن تيمية دار الكاتب العربي: بيروت.
٢١ ـ غياث الأمم في التياث الظلم. امام الحرمين الجويني. تحقيق عبدالعظيم الديب. الطبعة الأولى. مطابع الدوحة الحديثة: قطر اشراف الشيخ عبدالله الأنصاري. ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٢٢ ـ فتح القدير الامام محمد بن علي الشوكاني. القاهرة. ١٣٤٩هـ.
٢٣ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل. الامام ابن حزم. مطبعة التمدن: القاهرة. ١٣٢١هـ.
٢٤ ـ كشاف اصطلاحات الفنون. محمد علي الفاروقي التهانوي. تحقيق لطفي عبدالبديع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.
٢٥ ـ لسان العرب المحيط. العلامة ابن منظور. اعداد وتصنيف يوسف خياط. دار لسان العرب: بيروت.
٢٦ ـ مجموع الفتاوى. شيخ الاسلام ابن تيمية. جمع عبدالرحمن العاصي وابنه. مطابع دار العربية: بيروت. مصورة الطبعة الأولى. ١٣٩٨هـ.
٢٧ ـ مختصر منهاج القاصدين. ابن قدامة المقدسي. دار الدعوة: دمشق. ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٢٨ ـ مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة الامام محمد بن عبدالباقي الزرقاني. تحقيق الدكتور

محمد لطفي الصباغ. مكتب التربية العربي لدول الخليج: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢٩ - المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية في القاهرة. ادارة احياء التراث الاسلامي: مطابع قطر الوطنية ١٩٨٥م.
٣٠ - المعجم الفلسفي مجمع اللغة العربية في القاهرة. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية: مصر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣١ - المعجم الفلسفي. الدكتور جميل صليبا. دار الكتاب اللبناني: ١٩٨٢م.
٣٢ - معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم. العلامة راغب الأصفهاني. تحقيق نديم مرعشلي. دار الفكر: بيروت. ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٣٣ - مقاصد الشريعة الاسلامية الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. الشركة التونسية للتوزيع: ١٩٧٨م.
٣٤ - موقف الاسلام من العلم والفلسفة الغربية. أنور الجندي. سلسلة في دائرة الضوء برقم (١٢) دار الاعتصام: القاهرة. ١٩٧٧م.
٣٥ - نظام التجريم والعقاب في الاسلام مقارناً بالقوانين الوضعية. الطبعة الأولى: مؤسسة الزهراء للايمان والخير: المدينة المنورة. ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

نسق القيم في المجتمع والتغير الاجتماعي

الدكتور حسن الساعاتي(*)

أولاً: التمهيـــــد:

من الظواهر الاجتماعية التي شغلت بال المفكرين فلاسفة وعلماء اختباريين بين إمبيريقيين منذ القدم وعلى مر العصور حتى عصرنا الحاضر، تلك الظواهر المتعلقة بالسلوك البشري الاجتماعي، في ألوان شتى من العادات الاجتماعية، التي تتبلور في أشكال مختلفة من الأعراف والتقاليد وأساليب التعامل بين الناس التي فطن العرب اليها منذ عصور الجاهلية وأطلقوا عليها اسمين واضحيّ الدلالة وهما (شيم) و (شمائل) بمعنى الأخلاق[1] أي مجموعة الأوامر والنواهي التي يورثها السلف الخلف، لينسجوا على منوالهم ويتخلقوا بأخلاقهم، فيكونوا مثلهم ولا يشذون عنهم، هذه المجموعات الأخلاقية التي تشتمل على شيم وشمائل المجموعات والجماعات البشرية، وتميزها بعضها عن بعض، وتكون منسقة المحتوى معقولة المضمون لمن يعتنقونها، وهي ما يطلق عليها في علم الاجتماع وعلم الانسان وعلم النفس الاجتماعي، وعلم الثقافة على وجه الخصوص، أنساق السلوك الاجتماعي والتعامل البشري.

(*) أستاذ علم الاجتماع في جامعة عين شمس. القاهرة.

١ ـ أنظر: المعجم الوسيط، القاهرة. مجمع اللغة العربية، ١٩٦١م. الجزء الأول، مادة شمل. ص: ٤٩٧، ٥٠٦

والنسق عبارة عن مجموعة من المصالح والأنشطة المرتبطة بعضها بالبعض الآخر، تنظم تفاصيلها ومظاهرها وفق ترتيب منسق يتميز بأداء منسجم في وحدة متكاملة، ويمكن تصور النسق على أنه نموذج من أفكار عامة، يستخدم لتيسير بحث الظواهر المركبة وتحليلها، على أساس أنه في واقع الأمر تجريد من نسق أكبر، بينما هو في الوقت نفسه يحتوي على أنساق صغرى، كما هي الحال في الأنساق الاجتماعية على وجه الخصوص، وهكذا تكون الأنساق في الحقيقة غير ثابتة، وكذلك غير متوازنة توازنا تاما، كما أنها عاجزة عن التنبؤ الدقيق، ولكنها على الرغم من ذلك مفيدة، لتصنيف الظواهر الاجتماعية وتمييز بعضها عن بعض، كوحدات لكل منها ما تختص به من سمات تحدد طبيعتها ومظاهرها بشكل بارز، وعلى هذا الأساس حددت أنساق شتى كالنسق القرابي، والنسق الأسري، والنسق التربوي، والنسق الاقتصادي، والنسق الأمني، والنسق القيمي، الذي يتكون من مجموعة شاملة للاتجاهات والمعتقدات العميقة الجذور التي توجه استجابات الأفراد اليومية العادية في شتى الظروف والمناسبات.

ويرجع عدم ثبات أو عدم استقرار الأنساق، وعدم توازنها توازنا تاما، وعجزها عن التنبؤ المضبوط، الى ظاهرتين من أهم الظواهر في المجتمع، وهما ظاهرتا التغير الاجتماعي والتغير الثقافي المرتبطتان كل منهما بالأخرى، باعتبار انهما تؤثران في العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجموعات والجماعات والهيئات والأنساق الاجتماعية في كل مجتمع من المجتمعات ويعني التغير الاجتماعي أي تعديلات في التنظيم الاجتماعي لأي مجتمع، في أي من نظمه الاجتماعية أو انماط الأدوار الاجتماعية فيه ويشمل التغير الاجتماعي التغيرات المختلفة التي تطرأ على السلوك الاجتماعي الذي يأخذ أشكال العادات الاجتماعية

والأعراف والتقاليد، وذلك في نطاق الأنساق الاجتماعية الكبرى، كالنسق الأسري والنسق التربوي والنسق الأمني، والنسق الاقتصادي، وليس في اطار المجموعات الصغيرة، أما التغير الثقافي فيعني أي تغير في العناصر المادية والعناصر غير المادية، أي المعنوية أو الروحية من الثقافة، سواء بالاضافة أو الحذف أو التعويل في السمات أو المركبات الثقافية لأي عنصر من هذه العناصر، لوسائل المواصلات والاتصال، وتغذية المعداد (الحاسب الآلي) بالمعلومات لخزنها، والاستنباط الابتكاري منها بواسطة فنياته Techniques الذاتية، والأفكار والمعتقدات والقيم وما ينتج عن دوافعها النفسية من ألوان من السلوك تتبلور في عادات اجتماعية عامة متكررة، تتخذ أشكالا شتى من الأعراف والتقاليد والبدع، وأساليب محددة من التعامل بين أفراد المجموعات والجماعات والهيئات والمؤسسات وفق نظم اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية وأخلاقية تتميز بها المجتمعات بعضها عن بعض.

ثانياً: القيم وأنساقها:

منذ أن اهتم علماء الاجتماع، في أوائل القرن العشرين، بموضوع القيم، ظهرت مؤلفات غربية كثيرة تبحثها من حيث تأثيرها في النظم الاجتماعية المختلفة، وفق انفعالات الأفراد في تعاملهم بعضهم مع بعض، وحرصهم على كسب منافع شخصية، معنوية ومادية، تجعل لهم وزنا ومكانة وأهمية في المجموعات والجماعات التي ينتمون اليها وتنشأ بينه وبين أفرادها علاقات اجتماعية شتى. وفيما يلي دراسة مختصرة لأهم الموضوعات المتعلقة بالقيم.

أ ـ القيم مفاهيم عاطفية:

ليس بعيدا عن الصواب القول بأن القيم من منظور تحليلي تفسيري، مفاهيم عاطفية، قائمة على أسس نفسية اجتماعية مكتسبة من التراث الاجتماعي المختزن من خبرات الماضي في زمان ومكان معينين ومن الثقافة السائدة في الحاضر، عن طريق التنشئة الاجتماعية في مجموعات الأسرة وثلة الأقران وزمرة الرفاق في العمل، وفي الجماعات الريفية والحضرية، كالحي في المدينة، وفي المدرسة، والنادي وفي المؤسسات الانتاجية والهيئات الرسمية والخاصة، وهكذا تصبح القيم أفكارا اعتقادية قوية متعلقة بفائدة أشياء معينة في الحياة الاجتماعية وقد تكون الفائدة صحة جسمية او نفسية، أو توقداً في الذكاء، أو صفاء في النفس، أو لذة ونشوة، أو بسطة في الرزق، أو حسن سمعة أو منزلة رفيعة، أو نعيما في الآخرة أو غير ذلك من المنافع الشخصية التي تكسب الفرد احتراما يجعل الناس يهتمون به ويقدرونه، ولذلك كان من أعز الدعوات وأغلاها، دعاء الأم لابنها بقولها: «ربنا يعلي مقدارك» ربنا يعلي مراتبك، فعلو المقدار وعلو المرتبة يجران عليه منافع كثيرة، لما يضفيانه عليه من صفات تجعل له قيمة تحط من قدر الفرد المحروم منها، فلا يحترمه أو يقدره أحد ممن يتعامل معهم.

ب ـ نسبة القيم:

يتبين مما سبق أن القيم ذات معان حساسة في أذهان الأفراد في المجموعات أو الجماعات أو المجتمع، توحد بينهم من جهة، وتميزهم عن غيرهم من أفراد المجموعات والجماعات والمجتمعات الأخرى من جهة ثانية، ولذلك استخلص العرب بقوة بصيرتهم من هذه

الظاهرة النفسية ـ الاجتماعية، مثلهم الشهير (الناس اخوان وشتى في الشيم)[1] ويمكن في معرض الحديث عن القيم، تعديل هذا المثل ليصبح أكثر تناسبا فيقال: «الناس اخوان وشتى في القيم» وفي هذه الحال يكون معنى القيم، هو معنى الشيم والشمائل، وهو الأخلاق المسلكية لكل فئة من الناس، وكل شعب سن الشعوب، وفي زمانهم ومكانهم، ولئن دل ذلك على شيء فانما يدل على نسبية القيم، وهذا ما عبر عنه المثل الانجليزي خير تعبير بقوله: (إن رذائل بيكاديللي هي فضائل بيرو).

وتشرحه الدكتورة فوزية دياب في بحثها العربي الفريد عن القيم والعادات الاجتماعية بقولها: (فالحرية الجنسية التي عرف بها حي بيكاديللي في لندن وسمي من أجلها حي الرذيلة، هي السلوك الشائع المعياري الذي يجب اتباعه في جمهورية بيرو بأمريكا الجنوبية) وتعلق على ذلك بقولها: وهكذا نجد أن كل مجتمع يضع لنفسه معايير سلوكه، وتصرفات الأفراد في هذا المجتمع تعكس هذه المعايير التي تقوم عليها، ولذلك فان الشخصية السوية لا يمكن أن تعرف ولا يمكن أن يحكم عليها الا بعلاقتها بالمحيط الثقافي الذي تعيش فيه[2] وتمهيدا لهذه الفكرة كتبت تقول:

(ان القيم ذات طبيعة معيارية. معناه أنها تختلف باختلاف الجماعات والنظم السائدة فيها، واذا قلنا ان القيم تعكس معايير السلوك أو مُثُل السلوك، فليس ذلك بالمعنى الفلسفي المثالي

---

١ الميداني، أبو الفضل أحمد بن أحمد النيسابوري، مجمع الأمثال. القاهرة، المطبعة الخيرية، ١٣١٠هـ. ١٩٨٢م

٢ ـ فوزية دياب. القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية ط ٢ بيروت. دار النهضة العربية: ١٩٨٠م. ص: ٥٥.

الميتافيزيقي، وانما بالمعنى الوضعي الاجتماعي الذي تعبر عنه (الفضيلة الاجتماعية) التي تتلخص في أن يقوم الفرد بواجبه، ويحترم ممارسات مجتمعه وعاداته

ولما كان الأفراد يهتمون أكثر بالقيم والعادات الاجتماعية السائدة في المجموعات والجماعات التي ينتمون اليها ويتعاملون: كل منهم مع الآخرين فيها، ويجدون أنفسهم مجبرين على الانصياع اليها والعمل وفقا لما تمليه من ألوان السلوك، فانهم يتمسكون بما أشربت نفوسهم منها ويتصرفون وفقا لما هو سائد ويجري العمل في هذه المجموعات والجماعات، كما في حالات تعاطي المخدرات والمنشطات، والأخذ بالثأر، والاباحية الجنسية، والشذوذ الجنسي، حتى ولو كان ذلك مجرّما بصورة عامة، ويعد خروجا عن النظام العام في المجتمع وتعبر عن ذلك الدكتورة سامية حسن الساعاتي بمقولتها الملغزة: «ان بعض الناس قد يكونون غير متوافقين، لأنهم متوافقون في توافق غير متوافق»[1] وتشرح ذلك بقولها: فمن يرتكبون جرائم القتل للثأر يكونون غير متوافقين في سلوكهم مع النظام العام للمجتمع، ولكن عدم توافقهم هذا متوافق مع القيم والمعايير السائدة في أسرهم وقراهم، غير المتوافقة مع القيم والمعايير السائدة في المجتمع، والتي تكون ثقافته الكلية المنسجمة مع النظام العام، وتجرم الأخذ بالثأر وتكافحه ولا يستطيع الأفراد أن يكونوا غير متوافقين مع الأسرة والجماعة التي يعيشون فيها ويتعاملون مع أفرادها في اطار القيم والمعايير السائدة بينهم، لأنهم ان فعلوا ذلك، فسوف يعرضون أنفسهم لعقاب الأسرة والجماعة[2] وعلى هذا الأساس تصبح

١ ، ٢ سامية حسن الساعاتي. الجريمة والمجتمع. بحوث في علم الاجتماع الجنائي. مكتبة الانجلو المصرية: القاهرة. ١٩٨٢م. ص: ١٢٠، ١٢١

القيم المتعلقة بالأخذ بالثأر ايجابية ومرغوباً فيها، في محيط مجموعة الأسرة وجماعة القرية، لأنها تتوافق مع ثقافتها الفرعية الخاصة التي تحبذ بل تحض على الأخذ بالثأر ولكنها في الوقت نفسه تكون سلبية وغير مرغوب فيها ومحتقرة، في محيط المجتمع ككل ومن وجهة نظر النظام العام فيه. فالقيمة الايجابية هي التي تضفي على المتمسك بها احتراما يكسبه قيمة ومكانة عالية، والقيمة السلبية هي التي تجعل المتمسك بها غير محترم، لأن سلوكه يعد من وجهة نظر من يتعاملون معه «قلة قيمة» أي محتقراً!

جـ ـ الانسان حيوان مقوم:

في ضوء ما ذكر آنفا يمكن القول بأن الانسان حيون مقوم، مادام يعيش مع آخرين، يهتم بأن يكون سلوكه في أقواله وأفعاله مقبولا لديهم، فيحوز رضاهم ويكسب تقديرهم ويجعلهم يعترفون بقيمته وأهميته بينهم. هذا الشعور القوي بأن يكون للانسان أهمية وقيمة بين من يتعاملون معه هو الذي يجعل لعصبة الأقران الفاسدة سيطرة هائلة على كل فرد من أفرادها، حيث يجاري كل منهم الآخرين في سلوكهم مهما كان شاذا وجانحا وخارجا على الآداب الاجتماعية الوضعية والأخلاق الشرعية السماوية. وبتعمق مقولة أن الإنسان حيوان مقوّم يتضح أنه، طالما يعاشر غيره يفكر تفكيرا ارادياً في الأشياء والأفعال والأقوال التي يختارها من بين بدائل مختلفة عديدة لتجعل له قيمة كبيرة بين من يعاشرهم وتكسبه احترامهم وتقديرهم واعترافهم الكامل به.

د ـ سلم القيم:

يتبين من ذلك أن القيم، لكثرتها وتنوعها، تصبح مجالا فسيحا للاختيار ولما كان الاختيار يدفع الى المفاضلة والايثار فانه قد

أصبح من اللازم وجود ما اصطلح العلماء على تسميته (سلم القيم) الذي ترتب فيه القيم بعضها فوق بعض من حيث أهميتها في نظر الفرد نفسه، وفي اطار المجموعات والجماعات التي تجري فيها عملية المعاشرة بينه وبين الأفراد الآخرين، ومن الأمثلة القوية الدلالة على أهمية سلم القيم، نظام الخطبة الذي ترتب فيه مواصفات الزوجة المناسبة وفق الاختيار من بين متغيرات: الجمال، والثراء، والأصل، والاصلاح، والعلم، والسند، وترتب فيه مواصفات الزوج الملائم، وفق الاختيار من بين متغيرات: الرجولة، العلم، المهنة، الأصل، والاصلاح. ومع ذلك. فانه لما لاشك فيه أن قيم متغيرات مواصفات الزوجة المناسبة وقيم متغيرات مواصفات الزوج الملائم، تتغير بتغير الزمان والمكان وما يحدث فيهما لبني الانسان من تأثير وتأثر بالالهامات المبدعة والايحاءات الأصيلة، والتأملات الذكية، والتصورات المبتكرة، والتوسمات الحدسية، وذلك نتيجة ما يحدث في المجموعات والجماعات، بل المجتمع أيضا ككل من تغيرات ذات أشكال مختلفة بعضها مادي محسوس وبعضها الآخر معنوي كامن في الأذهان، ولكنه قوي الفاعلية شديد الأثر، تبعا لما يتمتع به رواد التغيير من شخصية قوية، قد تصل الى درجة الكارزمية أي الزعامة الملهمة، وتبعا لوسائل الاتصال التي يستخدمونها ودرجة انتشارها، ومدى الثقة فيما تنشره، وتبعا كذلك لما يجد في الحياة الاجتماعية من عوامل جديدة، اقتصادية واجتماعية وسياسية، تمارس ضغطا قويا على الناس، فتبلبل أفكارهم، وتزعزع ثقتهم فيما توارثوه عن أسلافهم، وتدفعهم الى التنازل عنها شيئا فشيئا على استيحاء أو نبذها دفعة واحدة في جرأة قوية وتحدّ ظاهر

هـ ـ القيم المادية والقيم الروحية:

القيم المادية مفاهيم متبلورة حول الأشياء المادية، التي يسعى الانسان للحصول عليها، كالمال والمسكن والأثاث والغذاء والكساء وأدوات الاتصال والتنقل، والشخص الذي يعاشره ويشترك معه في التنعم بهذه الأشياء كلها، باعتبارها ملذات تشتهيها النفس وتتوق اليها، بقدر ما نسجت حولها من انفعالات بالسرور، كونت عواطف امتدت جذورها في أعماق النفس البشرية وأصبحت قيما مادية من حيث اتصالها بالكائنات جمادا أو حيوانا أو انسانا، وقد لخص القرآن الكريم جل هذه القيم المادية في قوله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا﴾[1] وكل هذه قيم مادية لا غنى عنها، فأكثرها ضروري لحياة البشر، ولكنها يجب أن يسعى الى الحصول عليها في حدود الاعتدال، ويقتضي ذلك أن يخضعها الانسان لارادته وبذلك يستطيع السيطرة على نفسه بتغليب قيم روحية من الاعتدال والقناعة، والرضا، وبخاصة أنها قيم قصيرة العمر لا تدوم طويلا فهي تتغير ويضعف الطلب عليها بنضج الانسان وكبر سنه وكثرة خبراته التي تكسب العقلاء حكما واتزانا

والقيم المعنوية أو الروحية هي تلك التي تتبلور حول أشياء غير محسوسة، لكنها مستبصرة بالعقل وذات تأثير داخلي، شعوري، يثير انفعالات ومنتظمة، تصبح عواطف قوية في صورة مفاهيم ذات معان تجذب الانسان اليها، وتجعله يتمسك ويهتدي بها في حياته الاجتماعية ومعاشرته غيره من الناس في مختلف المجموعات وشتى

---

١ ـ سورة آل عمران. الآية: ١٤

الجماعات في المجتمع. ولعل أكثر القيم الروحية شيوعا في الأعم والأغلب من المجتمعات القيم المتعلقة بمفاهيم دينية كالتوحيد، والتسليم لله، والتقوى والصلاح، والاستغاثة، والعدل والاحسان، والحياء والعفة، والصبر وكون هذه القيم جاذبة ويتمسك بها يجعلها قيما ايجابية تجمع الناس على الخير، ولذلك ركزت الأديان السماوية عليها، وبذلك كتب لها البقاء والدوام، وتقابلها قيم شريرة منفرة سلبية، تعمل على الفرقة بين البشر وبذر الكراهية بينهم بالفحشاء، والمنكر والبغي، والظلم.

وهناك قيم معنوية خاصة بالعلاقات الاجتماعية الناجمة عن المعاشرة بين الناس، كالصداقة والاخاء والمحبة، والشرف والطاعة والتعاون، والتكافل والولاء، والايثار، والنصر وهذه كلها قيم ايجابية تجمع الناس على الخير. وتقابلها قيم اجتماعية سلبية فاسدة تنفر الناس بعضهم ببعض، وتبذر بذور الفرقة والتباغض بينهم كالعدوان، والغل، والحسد، والاساءة، والبخل، والأثرة، والطمع، والجشع، والفجور، والغيبة، والنميمة هذه القيم الايجابية والقيم السلبية قيم معنوية نفسية وليست روحية، وانما هي تتعلق بالأخلاق المسلكية، ولذلك سميت قيما أخلاقية.

و - أنساق القيم :

يمكن تعريف نسق القيم بأنه تقويم مقبول بصورة عامة، لأنماط العلاقات بين الأشخاص، كالأمانة وأنماط الانجاز، كالشجاعة وانماط الغايات والأهداف كالنجاح وأنماط طرز الارضاء المستحسنة، كتلك الخاصة بالجمال، وبالنظام، وبالتنسيق، وبالكفاءة، وأنماط المثل الاجتماعية كالمكانة، والاحترام، والقوة والمهارة وهذه القيم

كلها قد ذكرت على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ ويتضح فيها أن أنساق القيم عبارة عن مؤشرات كامنة في وعي الأفراد تهديهم في حياتهم الى مافيه خيرهم وسعادتهم. فهي تشتمل على ما يطمحون اليه من آمال. ومثل وأخلاق، يجزيهم المجتمع عنها خير الجزاء. وبناء على ذلك تتصدر أنساق القيم في أية ثقافة معالمها البارزة. وهي أيضا تظهر أعنف الوان التضاد بين الأفراد والمجموعات والجماعات والفئات في المجتمع، عندما يتصادمون بخصوص ما تحتوي عليه من قيم يحترمها ويتمسك بها فريق منهم، ويحتقرها وينبذها فريق آخر، ولا يأبه ولا يعيها فريق ثالث[1]

ويعطينا القرآن الكريم نسقا ما للقيم، التي تكون النظام العام الذي ينظم المجتمع الاسلامي، وذلك في أكثر س سورة من سوره. يسير الناس على هديها فيسعدون في الدنيا والآخرة، ففي سورة الاسراء يوجد نسق قيم متكامل من الأوامر والنواهي المحددة الآتية:

﴿وقضى ربك ألاّ تعبدوا الاّ اياه وبالوالدين احسانا﴾. ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا﴾ ﴿ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا﴾ ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم، ان قتلهم كان خطئا كبيرا﴾. ﴿ولاتقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا﴾. ﴿ولاتقتلوا النفس التي حرم الله الاّ بالحق، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا﴾. ﴿ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ

---

١ ـ أنظر: Abram Kardiner, "Values in Alorese Society", in David C. McClelland (ed.) Studies in Motivation, New York, Appleton-Century Crofts, Inc., 1955, P. 278.

أشده، وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا﴾. ﴿وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا * ولا تقف ماليس لك به علم * إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ ﴿ولا تمش في الأرض مرحا * انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا * كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها * ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله اله آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا﴾[1]

وفي كل من سورة النور، ولقمان، والمعارج[2] نسق للأخلاق المسلكية الشخصية جمع الله تعالى فيه قيما تجعل الفرد محترما بين الأفراد الآخرين في الجماعة الاجتماعية. وتضمن لهم جميعا الأمان والاستقرار وتؤلف بين قلوبهم، وتقف حائلا بينهم وبين شهواتهم التي تفسد حياتهم، اذا ترك لها العنان. هذا هو نسق القيم الصالحة الذي يسعد الجماعة والمجتمع.

والقرآن الكريم يرسم أيضا صورا لأنساق قيم فاسدة، تمسك بها أقوام وعدوها مصدر سعادتهم، بينما هي قيم فاسدة تجلب الشقاء وتشيع البغضاء انها أنساق قيم مجتمعات كانت في أزمنتها مزدهرة ولكنها انهارت ودمرت بسبب قيمها التي جمعت بين عدم التقوى والتعالي والتكبر والبطش، والشذوذ الجنسي، وغش الناس مكيالا وميزانا وبيعا وشراء، والفجور في الخصومة، وخيانة الأمانة، والغدر بعد العهد. انها أنساق قيم قوم نوح، وقوم عاد، وقوم ثمود، وقوم

---

١ سورة الاسراء الآيات: (٢٣، ٢٦ . ٢٩، ٣١، ٣٩).

٢ ـ سورة النور الآيات: (٢٧، ٣٣، ٥٨، ٦١) و سورة لقمان، الآيات (١٣ ١٩) وسورة المعارج. الآيات ٢٢ ـ ٣٥

ابراهيم، وقوم لوط، وقوم فروعون، وقوم شعيب، وكلهم قد استحبوا العمى على الهدى، ورفضوا رسالات الله التي أرسل بها رسله اليهم لاخراجهم من الظلمات الى النور، وعتوا عتواً كبيراً فدمروا تدميرا[1] ولإيراد هذه الأنساق من القيم السلبية المفرقة الفاسدة لهذه الأقوام التاريخية، التي عاشت حقبا من الزمان، ثم بادت كل منها بأوان، حكمة بالغة ذات مقاصد عقلية برهانية اقناعية، أولها التفكير وثانيها التذكر، وثالثها التعقل ورابعها التدبر، وخامسها التوسم أي استنباط النتيجة، لتصبح قاعدة يعتبر بها أولو الألباب، في حياتهم الاجتماعية ومعاشرتهم بعضهم بعضا، هذا هو المنطق القرآني الذي يخاطب العقل، الذي ميز الله به البشر عن سائر الكائنات الحية، ولكن على الرغم من الكتب السماوية الكريمة، وما فيها من العلم بشتى شئون الحياة، على مر الزمان واختلاف العصور والمكان، فقد ضل أكبر الناس، لأنهم اتبعوا أهواءهم، وجعلوا منها هاديهم ومرشدهم ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾[2] والذي يحدث على مر الزمان واختلاف العصور والبقاع، هو التغير الاجتماعي والثقافي، وتغير القيم في نفوس الناس، وهذا هو موضوع الفقرات التالية:

ثالثاً: التغير الاجتماعي والثقافي والقيمي:

انها لحقيقة علمية ثابتة ان كل شيء في الحياة، خاضع للتغير وقابل له وسائر فيه، أفراد أو مجموعات وجماعات ومجتمعات، وبيئة

---

١ سورة نوح. الآيات: ٥٩ ـ ١٣٦ وسورة يونس. الآيات: ٧١ ـ ٩١ وسورة هود. الآيات: ٢٥ ـ ١٠٠ وسورة الشعراء. الآيات: ١٠ ـ ١٨٩ وسورة العنكبوت. الآيات: ١٤ ـ ٤٠. وسورة القمر الآيات: ٩ ـ ٤٢.

٢ ـ سورة القصص. الآية: ٥٠.

طبيعية بما فيها من ماء وجماد، وحيوان ونبات، يحدث ذلك كله في زمان اجتماعي دائم الامتداد في المستقبل، ومستمر الاتصال في حلقات من شتى التفاعلات الجارية بين البشر بعضهم وبعض في شتى أشكال تجمعاتهم، وبين البشر والماء والجماد والحيوان والنبات، في مختلف الأحوال ما بين وجود وعدم، وكثرة وقلة، وحركة في الحل والترحال، والتنقل والاستقرار، وللعقل البشري فاعلياته في كل هذه الأمور يكشف ويخترع وينكر ويبتدع، مدفوعا بحاجاته الضرورية لبقائه ورغباته الكمالية اشباعا لشهواته مجبرا في بعض هذه الأنشطة بفطرته وتكوينه، ومخيراً في بعضها الآخر، حيث يقوده الحدس والالهام. والبشر في ذلك كله مختلفون تبعا لتفاوتهم في القدرات والمواهب وفيما يمرون من خبرات وتجارب، وما يحيط بهم من شتى الظروف المبسطة والمتدرجة تركيبا وتعقيدا وتاريخ البشر شاهد على ذلك. فهو صفحات الزمان، وسجل ما يحدث فيه لسائر المخلوقات وعلى رأسها الانسان.

ذلك ما لفت نظر عبدالرحمن بن خلدون وجعله في السبعينيات من القرن الرابع عشر، يتجه الى تاريخ العرب والعجم والبربر، يتعمقه ويستخرج العبر، أي النظريات والقوانين الاجتماعية، من المعاشرة بين البشر عبر الزمن وفي مختلف الأقاليم والمناطق والبقاع، فاستطاع أن يضع علما جديدا يعين على فهم الأحداث والوقائع وكشف ماهياتها وكيفياتها وعللها وأسبابها، وليمكن الدارس من صياغة قراراته الاجتماعية في ضوئها وبهديها، ليس في حاضره فحسب، وانما في مستقبله كذلك، على أساس قدرة هذا العلم الجديد على التنبؤ بما يمكن أن يحدث في الآتي من الزمان. ولذلك كان التغير الاجتماعي أو تبدل الأحوال على حد تعبيره، الموضوع

المحوري الذي عني به اشد عناية في مقدمته الشهيرة. ومن ملاحظاته الدقيقة وتوجيهاته السديدة في ذلك قوله: «ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال، بتبدل الأعصار ومرور الأيام، وهو داء دوي شديد الخفاء، اذ لا يقع الا بعد احقاب متطاولة، فلا يكاد يفطن له الا الآحاد من أهل الخليقة، وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم، لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، انما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حال الى حال. وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والامصار فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول»[1]

ويحاول ابن خلدون البحث عن أسباب التغير الاجتماعي على أساس أدلة التاريخ وشواهده من الأحداث والوقائع، فيصل الى نتيجة يسجلها بقوله: والسبب الشائع في تبدل الأحوال والعوائد، أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه، كما يقال في الأمثال الحكمية «الناس على دين الملك». وأهل الملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والأمر، فلابد وأن يفزعوا الى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها ولا يغفلوا عوائد جيلهم مع ذلك، فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الأول. فاذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومزجت من عوائدهم وعوائدها، خالفت أيضا بعض الشيء وكانت للأولى أشد مخالفة ثم لا يزال التدريج في المخالفة حتى ينتهي الى المباينة بالجملة. فما دامت الأمم والأجيال تتعاقب في الملك والسلطان، لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة[2] وكما ورد

---

١ ـ مقدمة العلامة ابن خلدون. المكتبة التجارية الكبرى: القاهرة بدون تاريخ. ص: ٢٨

٢ ـ المصدر نفسه ص: ٢٩

ذكره آنفا، من أن القيم هي دوافع السلوك الفردي والسلوك الجمعي، وان السلوك اذا ما تكرر صار عادة فردية أو عادة اجتماعية، فان كلمة عوائد الواردة في هذا النص انما تدل ايضا على القيم الاجتماعية والمقصود مس أهل الملك والسلطان في النص ذاته، ليس من بيدهم مقاليد الحكم فحسب، بل أيضا أهل العلم وأصحاب الرأي، الذين لهم سلطان قوي في التأثير على جماهير الشعب وهم المتفوقون بلغة العصر الحاضر، الذين يستطيعون باستخدام وسائل الاعلام المختلفة، وبواسطة الكلمة المقروءة والمسموعة والمرئيات المتنوعة، وبالمثابرة على ذلك يوما بعد يوم، غسل مخ العامة واقتلاع كثير من القيم سن نفوسهم وغرس ما يرضونه من قيم أخرى محلها، قد تكون ايجابية صالحة، أو تكون سلبية فاسدة، وذلك وفق مقاصد الدعاة ومصادر الدعوة، وما اذا كانت نابعة من يقظة مبدعة وازادة مؤمنة تبتغي الخير العام، أم صادرة عن أفكار وقيم وافدة غريبة ذات مقاصد خبيثة، وهذا يعرف بالانتشار الثقافي الذي يعمق التبعية الفكرية، التي تمهد الطريق أمام الغزو الثقافي الأجنبي، على أيدي المثقفين المبهورين بالأفكار والقيم والماديات الغربية

ولوسائل الاعلام في العصر الحاضر دور بارز في نشر الثقافة المعاصرة الأصيلة والدخيلة، بعناصرها المادية، وعناصرها غير المادية، أي المعنوية، ولقد أصبحت الكلمة المقروءة، بعد انتشار التعليم في الدول العربية من أهم المؤثرات في نشر العناصر المعنوية للثقافة، وبخاصة الأفكار والقيم والمعتقدات ذلك لأنها بالمقارنة بالصوت والصورة، أدوم وجودا وأطول أثرا، فضلا عن اطلاقها العنان للذهن ليفكر ويتصور، وفق مكوناته الشعورية واللاشعورية

وكمثال لتسريب الأفكار والقيم الغربية، المتعارضة، تماما مع القيم العربية الاسلامية فقال: «دوروتياكويلر» في صحيفة ستتجارترنساينونج الألمانية وعنوانه بالعربية «مستقلات ونحب ذلك» الذي ترجم ونشر في احدى الجرائد الانجليزية التي تصدر في وطننا العربي وقد جاء فيها ما نصه:

أربع نساء أعزاب ذكرن لي لماذا تفضلن المعيشة وحيدات والأسباب التي ذكرنها متشابهة، والرأي التقليدي هو أن النساء يجب ان يبتهجن بالأمومة وسعادة الحياة الأسرية، وأنه ينظر الى النساء والأعزاب بشيء من الشك والرأي التقليدي أيضا أنه لابد من وجود شيء خاطىء لدى صغار السن من الجنسين، الذين يبقون أعزابا.. واذا لم يكن ذلك كذلك، فانهم يقلقون من التورط في علاقات دائمة. والأعزاب ذوو سمعة سيئة في وحدتهم وقضاء عطلتهم، وفي حياتهم الجنسية نقطة ضعف. ولكن العزبة لكثير من الناس حالة سارة، على الرغم من عدم وجود احصاءات تثبت ذلك والنساء الآن في عقودهن الثالثة والرابعة، أول جيل يبدأ هذه الطريقة الجديدة والبديلة من الحياة[٢] وتورد الكاتبة حالات أربع نساء أعزاب، لكل منهن خدين يزورها في مسكنها ليقضي معها عطلة نهاية الأسبوع، بدون قيود الزواج الرسمي، الذي ترفضه رفضا قاطعا، وتنفر من فكرة ما يتمخض عنه من ذرية تقيد حريتها، وتهدد استقرارها في عملها، الذي يحقق ذاتها ويشعرها بمتعة استقلالها عن الرجل. لاجدال في أن نشر هذه الأفكار المتحررة الجديدة، في جريدة صباحية تقرؤها القادرات على القراءة باللغة

١ ـ أنظر: Dorothex Kiuler, "On Our Own & Loving It", Saudi Gazette, Wednesday, September 24, 1986, P. 17.

٢ ـ مقدمة ابن خلدون ص: ٣٧٢، ٣٧٣

الانجليزية س النساء العربيات المتزوجات والأعزاب، سيحدث شيئا من الأثر في نفوسهن، ويؤدي الى اهتزاز القيم عند ضعيفات الارادة والتواقات الى التغير من بينهن. ومما لاشك فيه أن حياة الوحدة التي انتشرت بين اعداد متزايدة من الشابات في الدول الأجنبية، مسئولة الى حد كبير عن انتشار المسكرات والمخدرات، وازدياد جرائم الاغتصاب التي أصبحت تقلق بال النساء وتحد من استمتاعهن بحياة الوحدة، التي أصبحت لها قيمة كبيرة في نفوسهن، ولقد شجع نسق القيم الجديدة في الحياة الاجتماعية السريعة التغير، على استخدام ثمرات التقنين، (التكنولوجيا) في متع ترفيه، استطبيها الكثير من الشباب من الجنسين ، على وجه الخصوص فظهرت معروضات كثيرة تلبي الطلب المتجدد للمتعة في صورة مختلفة، فانتشرت الأفلام وأشرطة الفيديو الزرقاء، وانتشرت المطبوعات المخلة بالآداب، وزاد الاقبال على المسكرات والمخدرات، وراجت سوقها وتنوعت أساليب تهريبها، كما ظهرت أنواع جديدة منها أصبحت أكثر انتشارا. وقد دفع غلاء ثمنها الكثير ممن أدمنوها الى ارتكاب جرائم السرقة، والسطو، والنشل، والنصب، والرشوة، للحصول على المال الذي يمكنهم من التعاطي المستمر، لما أدمنوه من الأفيون والهيروين والماكستون والكوكايين ومختلف أقراص وحبوب الأمفيتامينات، وغير ذلك من المهدئات والمنشطات. وفي هذا النسق القيمي الجديد في الحياة الاجتماعية السريعة التغير، تنتشر ظاهرة البغاء وتتفاقم، وتهتز معايير العلاقات الزوجية التي تنعكس سلبا على استقرار الأسرة وتربية الأطفال في جو مسحوق بانفعالات متناقضة ورغبات متصارعة وطموحات لا تقوى إمكانات كل أسرة على تلبيتها

وان س يتعمق واقع المجتمع العربي منذ حرب ١٩٧٣م يجد أنه في العشر السنوات التالية لسنة الحرب، قد مر بمرحلة ازدهار اقتصادي عظيم، نتيجة رواج بترولي هائل، ونجاح بارز في مشروعات صناعية وزراعية وتجارية ونقلية كبرى، الأمر الذي أحدث طفرة عمرانية، وحركة سكانية برزت في هجرات سكانية ضخمة من مناطق الطرد الخاملة الفقيرة الى مناطق الجذب المزدهرة الغنية. وقد انعكست آثار الازدهار والرواج والنجاح وما صحبها من انفتاح على العالم الغربي انعكاسا ظاهرا على الأحوال الاجتماعية والثقافية في الدول العربية، التي مرت بمرحلة تغير سريع شامل بنسب متفاوتة. فزخر العمران. وبخاصة الحضري بالكماليات وتطلعت نفوس سكانه اليه، كمّاً بالاستكثار منه، وكيفا بوصول الصنائع فيه الى الغاية في التفنن والتأنق والتنوع والاتقان، سواء أكانت محلية أو واردة من الدول الصناعية الأجنبية ونجم عن ذلك العمران الزاخر والخارج عن الحد، فساد أهل المدن الخاصة، من الناحيتين المادية والاقتصادية، والمعنوية والأخلاقية وهذا هو بؤرة اهتمام الباحثين في العلوم الاجتماعية، وبخاصة علم الثقافة الذي يشمل الحضارة وماديتها الكثيرة المتنوعة، وحجر الزاوية في التنظير حول الفساد الذي جلبه التغير الاجتماعي والثقافي الشديد السرعة في العالم العربي في السنوات العشر التي تلت الحرب سنة ١٩٧٣م هو أن فساد النفوس قد كان في قيمها وما دفعت اليه من عادات اجتماعية جديدة، مبنية على أفكار وقيم وافدة أو نادى بها متحررو الفكر ممن فقدوا هويتهم العربية الاسلامية، وانبهروا بالفكر الغربي وقيمه، ووقعوا في شراك التبعية الثقافية، واخذوا يخدمون الغزو الثقافي الأجنبي. من مواقع أعمالهم وبخاصة الفكرية والتعليمية والاعلامية.

ولا يصح إغفال تنظير ابن خلدون الأصيل ، الذي صاغه منذ أكثر من ستة قرون، لتفسير الاختلال الاجتماعي من منظوري الفرد والمجتمع، لأنه ينطبق الى حد كبير على ما حدث في العالم العربي، نتيجة الازدهار الاقتصادي العظيم، والرواج البترولي الهائل، والنجاح البارز في مختلف المشروعات الكبرى الصناعية والزراعية والتجارية فقد قرر بعد استقراء تاريخ العرب والعجم والبربر وما سجل فيه من احداث ووقائع حتى أيامه، أن فساد أهل المدينة «في ذاتهم واحدا واحدا على الخصوص، فمن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون بألوان الشر في تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها، بحصول لون آخر من ألوانها. فلذلك يكثر منهم الفسق والشر والسفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه، وتنصرف النفس الى الفكر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له، فتجدهم أجرياء على الكذب والمغامرة والغش والخلابة والسرقة والفجور في الايمان والربا في البياعات. ثم تجدهم أبصر بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة به وبدواعيه والمراح الحشمة في الخوض فيه وتجدهم أيضاً أبصر بالمكر والخديعة. يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر وما يتوقعه من العقاب على تلك القبائح، حتى يصير ذلك عادة وخلقاً لأكثرهم إلا من عصمه الله» وقد استمر هذا الحال في السنوات القليلة الماضية حتى أيامنا هذه التي حدث فيها انحسارات اقتصادية متفاوتة في الدول العربية، على غرار ما حدث في الدول الأجنبية المتقدمة. لكن القيم السلبية والعادات الاجتماعية الفاسدة، قد ظلت تحدث آثارها واستمر

الأغنياء في متعهم ولذائذهم التي صارت أعرافا بينهم، وشاعت البطالة بين المتعلمين وانحدر الفقراء الى مستوى غير كريم، زادت فيه الجرائم انتشارا وأصبح الفرد في هذا المجتمع المعقد، الذي استهدف لتنمية شديدة السرعة

في حقبة سن الزمن جد قصيرة لا تتعدى الخمسة عشر عاما، يعيش وسط حياة اجتماعية مهتزة اعنف اهتزاز، فالقانون قد أصبح غير كاف في ردعه. والدين صار أفكاراً غير قوية في الضبط الاجتماعي والشك قد تطرق الى كل القيم والمثل وأصبح ما يمارس غير مايدرس، وما يجري فعله يخالف ما تبث الدعوة الفاضلة له، وتنوعت الآراء، وتعددت الاتجاهات وزاد ضغط الغزو الثقافي الأجنبي، وطغت الحضارة بمادياتها المغرية على ما كان سائدا من قيم روحية اخذت تضغط تدريجيا وتؤول الى الزوال.

في هذا الجو الفاسد يلجأ العقلاء من الدعاة الى هداية الناس لا ببث العنف بينهم، ولكن بالأسوة الحسنة، والكلمة الطيبة، والحكمة والموعظة الحسنة، فاذا زاد الفساد وألهت الناس الحياة يبغونها عوجا، فيلعمل العقلاء بالتوجيه القرآني الحكيم لقوله عز من قائل ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم﴾[1] وقد شرحه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه بقوله: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى اذا رأيت شحاً مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة، فان من ورائكم أياماً، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا

١ ـ سورة المائدة. الآية: ١٠٥

يعملون مثل عملكم. ولما سأله الصحابة: «أجر خمسين منا او منهم» قال: بل أجر خمسين منكم[1] ففي هذه الأيام الصعبة: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾[2] وعندما تهتز المعايير، ويسير أغلب الناس في المجتمع على هدى من هواهم، يتفشى الظلم ويكثر العدوان وتزداد الجرائم والآثام، ويشتد العبء على من يقومون بمكافحتها بالسهر على حفظ الأمن، وتعقب الخارجين على القانون والقاء القبض عليهم، وبمقاضاتهم والحكم على المدانين منهم بالعقوبات المنصوص عليها في القانون، ثم بتنفيذ العقوبات فيهم، رقابة أو تغريما أو حبسا أو سجنا أو حرمانا من حق الحياة، وفي ذلك يصدق قول الخليفة عمر بن عبدالعزيز: «تجد للناس أقضية بقدر ما يحدثون من الفجور»[3]

يتبين مما سبق أن البشر مخلوقات تسعى بشتى الصور لتحقيق غايات متعددة ومتنوعة والذي يدفعها للسعي بجد وعزيمة، ما يترسب في أنفسهم من قيم مكتسبة خلال تنشئتهم الاجتماعية من جهة، وقيم مستخلصة مباشرة من خبراتهم في الحياة من جهة أخرى. وبذلك تصبح القيم جزءاً لا يتجزأ من حقائق الحياة الاجتماعية والعالم الاجتماعي الذي يعنى بتنمية المجتمع تنمية شاملة متكاملة، لا يستطيع ذلك بنجاح مالم يعن بالأحوال والظروف

---

١ القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٩٨ ج ١، ص؛ ٣٤٣

٢ سورة التوبة؛ الآية: ٦٧

٣ ـ نقلا عن الشيخ أحمد حسن الباقوري، (حديث الصباح) البرنامج العام، اذاعة جمهورية مصر العربية

التي تظهر فيها القيم غير المقبول لدى مجموعات أو فئات معينة من المجتمع، وبمدي تأثير هذه القيم في سلوكهم الاجتماعي وعلاقاتهم بعضهم ببعض، حتى يمكن تبين كيفية تعديلها أو تغييرها، في ضوء حقيقة أنها متغلغلة في النفوس، وهنا تظهر الحكمة الالٰهية في قول الله تعالى: ﴿ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[1].

ومما لا جدال فيه ان الالتجاء الى كتاب الله العليم الحكيم، وتفهمه والتمسك بقيمه، عن ايمان بها ويقين ينفعها دنيا وأخرى، هو خير مغير لما في النفوس من قيم سالبة، تفسد على الناس معيشتهم وتكدر صفو حياتهم.

---

١ ـ سورة الرعد. الآية: ١١

المراجـــــع

١ ـ الجامع لأحكام القرآن. القرطبي أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري الجزء السادس. مطبعة دار الكتب المصرية: القاهرة. ١٣٩٨هـ.

٢ ـ الجريمة والمجتمع: بحوث في علم الاجماع الجنائي. الدكتورة سامية حسن الساعاتي. مكتبة الانجلو المصرية: القاهرة. ١٩٨٢م.

٣ ـ القيم والعادات الاجتماعية. الدكتورة فوزية دياب. دار النهضة العربية: بيروت. ١٩٨٠م.

٤ ـ مجمع الأمثال. الميداني. أبو الفضل أحمد النيسابوري. المطبعة الخيرية: القاهرة. ١٣١٠هـ.

٥ ـ المجمع الوسيط. مجمع اللغة العربية: القاهرة. ١٩٦١م.

٦ ـ مقدمة العلامة ابن خلدون. المكتبة التجارية الكبرى: القاهرة.

القيم الأخلاقية لرجل الأمن
بين حقوق الفرد ومصلحة المجتمع

الدكتور ابراهيم زيد الكيلاني(*)

التمهيـــد:

اذا كانت حياة المجتمع وسريان القوة بفعالياته الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والسياسية مرهونة بأمنه، فإن رجل الأمن هو العين الساهرة واليد القوية، والحصن الواقية لهذا الأمن.

هو يد القضاء العادل الحافظ لحقوق الناس، وقوته الفاعلة، وهو يد الحكم الراعي وشوكته وسلطانه يسهر لينام الناس، ويأمنوا على أنفسهم، ودمائهم وأموالهم وأعراضهم.

ورجل الأمن يمثل هيبة السلطة وقوتها. والحكومة في الدولة هي الراعية الحارسة لدين الأمة، وشخصيتها الحضارية وقيمها ومثلها وهي التي تسوس أمور الناس بالعدل وترعى مصالحهم، وأسباب عيشهم، وعمرانهم بالحكمة

ورجل الأمن هو يد الحكم الأمينة المنفذة، وهو للشعب الملجأ والمفزع، والمستغاث، اليه يفزع الناس ، أول ما يفزعون حين يصيبهم ظلم وعدوان.

(*) كلية الشريعة. الجامعة الأردنية. عمان.

وعلى قوته وأمانته، على ما يتحلى به من كفاءة ومقدرة على القيام بمسئولياته، وعلى ما يتحلى به من إيمان وأمانة، وصدق ونزاهة، بمقدار ما يترجم سلوكه عن شخصيته الاسلامية القوية الأمينة العادلة الحازمة، الواعية اليقظة، بمقدار ما يحصل على ثقة الناس وتعاونهم، ويقوم بمهمته خير قيام في حفظ الأمن ورعاية العدل وتطهير المجتمع من الاجرام والمجرمين، والفساد والمفسدين.

ذلك أن من أسباب تقدم المجتمع وازدهاره انتظام الجهاز الاداري في الدولة حتى يؤدي غايته المرجوة من تحقيق العدالة وتوفير الأمن وردع العدوان، وإيتاء كل ذي حق حقه

ولابد ـ لتحقيق هذا ـ من أمرين:

١ ـ قيادة حازمة عادلة، لا تغفل عن اكتشاف نواحي الخلل والتقصير، كما تكتشف نواحي القوة والقيام بالواجب، تكافىء المحسن وتعاقب المسيء.

٢ ـ جند عاملون أكفاء يقومون بمسئولياتهم بكفاءة وأمانة، يصدق فيهم قوله تعالى ﴿. إن خير من استأجرت القوي الأمينُ﴾[1]

فهم يجمعون بين العلم وما يتطلبه العمل من خبرة ومهارة فنية وبين الأمانة والخلق والاستقامة والشجاعة والنزاهة التي تحفظ حقوق الناس، وتقاوم أسباب الضغوط النفسية والاجتماعية.

---

١ ـ سورة القصص. الآية: ٢٦

أما القيادة فلابد أن تتصف بالحزم واليقظة، وقد نبه القرآن الكريم على أهمية صفة الحزم في شخصية القائد، فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله﴾[1].

والآية الكريمة توجه الى حزم القائد وعزمه القائم على الحكمة والعلم والخبرة. فبعد أن ينتفع القائد بآراء ذوي الخبرة، ويدرس القضية درسا وافيا، ويهتدي بعلومهم وخبراتهم وآرائهم فيتخذ قراره بعد ذلك، ويعزم عزمته متوكلا على الله دون ضعف أو تردد.

وبهذا التوازن بين الشورى والحزم يخلص قرار القائد من الهوى والاستبداد والجهل والضعف الناشيء عن نقص الخبرة.

وبعض الناس يخلطون بين الحزم والاستبداد، وهذا خطأ. فالاستبداد القائم على الهوى والتحكم بالرأي والسلطة شيء، والحزم القائم على الشورى والانتفاع بالخبرات والتوكل على الله شيء آخر

والقائد الحازم الذي لا يتخذ قراره الا بعد دراسة وروية، ثم اذا اتخذه لا يتراجع عنه، ولا يضعف عن متابعته، يفرض احترامه وهيبته في نفوس جنده ويبعث القوة والحياة لينهض بالأعباء الملقاة عليه بكفاءة وقوة وأمانة.

ولابد لرجل الأمن حتى ينجح في عمله، ويؤدي رسالته أن يكون قويا حازما، فملاحقة الجريمة والضرب على يد المفسدين تحتاج الى الحزم، ليقوم بالمهمة بجدارة في أقصر وقت.

---

١ - سورة آل عمران. الآية: ١٥٦

وملاحقة أهل الفساد وعصابات الباطل، ومتابعتهم، تحتاج الى السرعة والحزم.

وملاحظة فعالية الجهاز وخلوه من الخلل والتقصير والضعف تحتاج الى الحزم.

وقد صوّر لنا القرآن الكريم القائد العادل في سورة النمل، وهو يربي الجماعة الاسلامية لتحمل مسئولياتها المقبلة في قيادة البشرية وهدايتها واقامة مجتمع الايمان والعدل والسلام. قال تعالى في حديثه عن نبي الله سليمان عليه السلام وقيادته الحازمة والعادلة ﴿وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين * فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين* اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله الا هو رب العرش العظيم * قال سننظرُ أصدقت أم كنت من الكاذبين * اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تولَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون﴾[1]

ونقف عند الآيات الكريمة ليتبين لنا مايلي:

١ ـ النظام المحكم الذي اكتشف القائد من خلاله غياب جندي من أمم الطير الكثيرة.

٢ ـ الضبط والربط اللازمان للقيادة الناجحة التي لا تغفل عن غياب جندي واحد وتوليه الأهمية اللازمة.

---

١ ـ سورة النمل. الآيات: ٢٠ ٢٨

٣ ـ الحزم الذي ينجلي باصدار الحكم ﴿لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه﴾

٤ ـ العدل الذي يرافق الحزم ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾

والعدل والحزم صفتان لا تفترقان في شخصية القائد المسلم ـ لأن الحزم اذا لم يحصنه العدل كان استبدادا وظلما وطغيانا.

٥ ـ تقدير كفاءة الأجهزة الأمنية ومبادراتها التي تقوم بها لحماية أمن الدولة عن طريق اكتشاف طبيعة الدول المجاورة والبعيدة وقوتها.

فالهدهد في القصة يمثل رجل المخابرات المسلح بالوعي والجرأة والكفاءة في تقديم تقرير عن مملكة سبأ شمل نظامها السياسي والديني والاجتماعي، كما بينت الرسالة الكريمة التي يحملها رجل الأمن والمخابرات في توجيه الأنظار الى وجوب اخراج هؤلاء القوم من عبادة غير الله الى عبادة الله وحده. وكيف أتت هذه الأجهزة ثمراتها الطيبة في هداية سبأ واسلامها لله رب العالمين.

٦ ـ التثبت واليقين في نقل الخبر وتقديم التقارير الصادقة

وقد نبه القرآن الكريم على أهمية التثبت واليقين في نقل الخبر، لحفظ أمن الجماعة ومنع الظلم والعدوان.

فقد بدأ الهدهد ناقل الخبر تقديم تقريره بقوله ﴿أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾ وفي سورة الحجرات ﴿ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[1]

---

١ سورة الحجرات. الآية: ٦

وبمقدار اتصاف العاملين في هذه الأجهزة بالكفاءة الخلقية والعلمية والوعي. تعطي ثمراتها الطيبة حفظا للأمن. وقمعا للجريمة وخيرا على البلاد والعباد.

وفي تاريخ الحضارة الاسلامية صور كريمة لحزم القائد وأثره في تحقيق أمن المجتمع والمحافظة على رسالته وشخصيته الحضارية نذكر منها:

١ ـ أبوبكر القائد الحازم العادل:

ومن منا لا يذكر حزم أبي بكر رضي الله عنه في النهوض لقتال المرتدين الثائرين بعد التحاق رسول الله (ﷺ) بالرفيق الأعلى. حيث تردد الصحابة وفيهم عمر رضي الله عنهم في قتال المرتدين خوفا من فتنة أكبر ولكنه رأي رضي الله عنه بثاقب نظره. وبعد همته. ان أمن البلد وسيادة الدولة وسيادة مبادئها التي قامت عليها ليست موضع مساومة، فأعلن قراره الحازم الحاكم، «أيها الناس والله لو أفردت من بينكم جميعا لقاتلتهم وحدي، ولو علمت أن السباع تجرني من رجلي» وكان من ثمرة موقفه الحازم هذا أمن الجزيرة وسيادة الدولة الاسلامية فيها، والقضاء على الفتنه بأقصر وقت، وفتح الطريق للفتوحات الاسلامية التي حررت أرض الاسلام من حكم كسرى وقيصر في بلاد العراق وما وراء النهر وبلاد الشام ومصر والمغرب العربي الكبير.

٢ ـ سياسة الحجاج الأمنية:

ومما يحسن ذكره هنا ما كتبه الحجاج عن سياسته الأمنية في رسالة أرسلها الى الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك جاء فيها:

(إني أيقظت رأيي، وأنمت هواي، فأدنيت السيد المطاع في قومه، ووليت الحرب «الشجاع الشديد»، الحازم في أمره، وقلدت الخراج الموفر لأمانته، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما أعطيه حظا من تكليف عنايتي ونظري، وصرفت السيف الى النطف المسيء (المتهم بريبة) والثواب الى المحسن البريء، فخاف المريب صولة العقاب، وتمسك المحسن بحظه من الثواب).

المبادىء المستخلصة من هذه الرسالة:

وإذا عرف الحجاج في تاريخنا الاسلامي بظلمه وعسفه إلا انه في هذه الرسالة يضع أمامنا حصيلة خبرة عميقة وتجربة واسعة وأسسا قوية لحفظ الأمن وسيادة القانون في المجتمع منها:

١ ـ يقظة رجل الأمن وعدم غفلته من كل ما يهدد سلامة المجتمع وأمنه، ليتمكن من تطويق الأمر قبل حدوثه، أو استفحاله وانتشاره:

٢ ـ كفاءة الأجهزة العلمية والفنية القادرة على التحليل والاكتشاف والمراقبة والمتابعة دون ضعف أو تقصير.

٣ ـ تحرر رجل الأمن من الهوى والضغوط الشخصية التي قد تعميه عن رؤية الحقيقة، أو تفقده الصلابة والحزم في مقاومة الفساد أو كشفه

٤ ـ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فللحرب الشجاع الشديد، وللمال الكفء الأمين.

٥ ـ توزيع العمل على الأجهزة المتخصصة المرتبطة بقيادتها فلكل جهة تهدد أمن الدولة جهازها الخاص يقوم بمسئولياته في دراستها والتنبيه على أخطارها، وهذا ما يفيده قوله (وقسمت لكل خصم

س نفسي قسما أعطيه حظا من تكليف عنايتي ونظري) ثم يقوم القائد الناجح بإعطاء كل جهاز حظه من الرعاية ودراسة تقاريره ومناقشتها للوصول الى القرار الأخير وليتحقق مبدأ التعاون بين الأجهزة دون أن يطغى عمل على عمل، أو يهمل جانباً ويرعى جانباً آخر، وقديما قالوا: من مأمنه يؤتى الحذر

٦ ـ الضرب بيد من حديد على أيدي المفسدين والمخلين بأمن البلاد، وتقدير المحسنين المحافظين على أمن البلد العاملين على تقدمه وربط الحكم بالشعب عن طريق تقريب القيادات الشعبية والصالحين من الناس وحسن الصلة بهم، ليجد المحسن ثواب احسانه، والمسيء نتيجة عمله، ولتجد الكفاءات والفعاليات العلمية والاقتصادية والفنية رعاية الحكم لها، وتوفير الجو المناسب لعطائها، وابداعها وتقديمها الخدمات للناس، كما يجد المخلون بأمن البلد المحتالون على القانون، الساعون في الأرض فسادا، عيناً يقظة ساهرة، وعقوبة رادعة زاجرة.

٣ ـ صلاح الدين الأيوبي رجل الأمن في دمشق:

ويذكر لنا المؤرخون للدولة الأيوبية من سيرة صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه أن نور الدين قلده إمارة الشرطة في دمشق، وكان عدله وحزمه، من أسباب حب الناس له واعجابهم بقيادته وبعد وفاة نور الدين رضي الله عنه، بايع أهل الشام صلاح الدين بدون كبير عناء. ذاكرين صدقه، وعدله، وحزمه، وحسن مطاردته للجريمة، يوم كان مديرا للشرطة في دمشق.

وقد وصفه أحد الشعراء بقوله:

ويوسف قطع أيدي النساء ويوسف قطع أيدي العتاه

مقارنا بين يوسف النبي الذي أقام الدين بعفته ونزاهته

وعصمته، ويوسف صلاح الدين الذي أقام العدل بحكومته وولايته.

رجل الأمن في خدمة الشعب:

واذا كان الحزم والعدل واليقظة أسسا لابد من توافرها في الأجهزة الأمنية الساهرة على أمن البلد ورعايته، فإن الصورة الأخرى لتعامل رجل الأمن مع الناس تتطلب منه ان يتحلى بقيم الصدق والتقدير لكرامة المواطن وعدم الاستخفاف به، ومد يد العون والنصرة للضعيف، والمظلوم، غنيا كان أو فقيرا، وجيها أو محروما

ويحسن في هذا المجال أن نذكر ما يلي:

أن يُذكرّ رجل الأمن دائما أن الدولة في خدمة الشعب، وأن كل عامل فيها هو أجير للشعب، سراقب س الله عز وجل.

دخل أبو حازم على معاوية وحوله كبار رجال الحكم فقال له: السلام عليك أيها الأجير فعجب الحاضرون وقالوا: إنما هو أمير المؤمنين، فكرر نداءه وقال: السلام عليك أيها الأجير، فعادوا ينبهونه الى أنه أمير المؤمنين، فقال لهم: بل هو الأجير، ثم التفت الى معاوية وقال: إعلم يامعاوية إنك اجير لهذه الأمة، استأجرك ربك لرعايتها، فان أنت أحسنت الرعاية، وفاك ربك أجرك، وان انت أسأتها عاقبك وشدد عقوبتك.

وهكذا فقه المجتمع الاسلامي الوظيفة خدمة للشعب لا استعلاء عليه

ومن كلمات أبي بكر رضي الله عنه «اني وليت عليكم ولست بخيركم».

وكان عمر يقول «إنما أنا واحد منكم، ولكني أكثركم مسئولية وواجبات».

وبهذه القيم والأخلاق الاجتماعية التي يتحلى بها رجل الدولة والحكم والأمن، تقوم قوة الدولة وسلطانها وتكتسب الدولة ثقة الشعب جندا وراء جند يحمون أمن البلد، ويتعاونون مع رجال الأمن وهم يعلمون أن رسالتهم واحدة، وأن رجال الأمن منهم واليهم.

ان رجل الأمن حين يملكه هذا الخلق الكريم وهذا الشعور الصادق أنه في خدمة الشعب لتوفير أمنه، وحماية حياته، وحفظ كرامته، وماله وعرضه، وحقه، يملك قلوب الناس ومحبتهم.

أما اذا نسي رجل الأمن هذا الخلق، ورأى لنفسه مكانة فوق الناس، وجفا عنهم بخلقه، وطغى بمعاملته، وقسوته، وأصبح في عيون الناس سوط عذاب، وأداة نقمة وظلم وتنكيل، عزل الحكم عن الشعب، والقاعدة عن القيادة، وتحول المجتمع الى أسباب ضعفه وتآكله من الداخل، وفتح النوافذ والأبواب لأعداء الأمة، والشعب، أن ينقدوا، ويستغلوا، ويمكروا، ويتآمروا، مما يهدر قوة الأمة الأمنية والاقتصادية والاجتماعية، ويقطع أوصالها.

وقد حذر القرآن الكريم من هذا التقاطع كما حذر ان يقطع الولاة والحكام ما بينهم وبين الناس بقوله: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعّوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾.

وما يستبد الحاكم ويقطع ما بينه وبين الناس الا اذا كان من الذين لعنهم الحق فأصمهم وأعمى أبصارهم ففقد العين المبصرة،

والأذن الصاغية المطلعة على هموم الناس ومشكلاتهم، السامعة لقضاياهم وشكاواهم، العاملة على ازالة الظلم، واخفاق العدل واشاعة السلام.

واذا كان رجل الأمن هو عين الحكم وسمعه فمسئوليته كبيرة أن يكون العين الساهرة اليقظة، والأذن المتفتحة الواعية، ليقي المجتمع من أسباب هلاكه ولعنته، وفساده، ويوفر له أسباب أمنه وطمأنينته وسعادته.

وصية سالم بن عبدالله لعمر بن عبدالعزيز:

ومن خير الوصايا التي يحسن برجل الأمن أن يضعها نصب عينيه وصية سالم بن عبدالله لعمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة وأمور الناس:

«اجعل الناس، أبا، وأخا، وإبنا، فبر أباك، واحفظ أخاك، وارحم ابنك».

وجدير برجل الأمن أن يرى في الناس أباه وأخاه، وابنه، ليروا فيه الابن والأخ، والوالد، فتتصل القاعدة بالقيادة بأوثق الأسباب، ويتماسك المجتمع ويقوى في ظل الأمن والثقة والعدالة ويتصل بأسباب تقدمه الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والعمراني، والعسكري، ويتحول الى جنة من رخاء. وواحة من سلام.

حين كان القرآن الكريم يتنزل على قلب النبي المصطفى (ﷺ) كان يعد الجماعة المسلمة لتحمل مسئولياتها في نشر الأمن والسلام وتطهير المجتمع من الجريمة والفساد والمفسدين، قال تعالى: ﴿ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير * قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله

من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم﴾[1]

كان يعد القائد. ويعد الجندي ويعد الأمة

وقد رأيت عرض هذه القيم من جانبين:

الجانب الأول: يتعلق باقامة العدل وحفظ الأمن ومطاردة الجريمة.

الجانب الثاني: يتعلق باصلاح الفرد والجماعة.

الجانب الأول: إقامة العدل وحفظ الأمن ومطاردة الجريمة:

وفي ظل هذا الجانب يمكن أن نعرض القيم التالية:

١ ـ التثبت من الخبر وتحري صدقه

قال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[2]

على رجل الأمن مهمة عظيمة في تمحيص الوقائع، ونقل الصورة الحقيقية التي تعين القاضي على الحكم والعدل.

فرجل الأمن هو عين القضاء المبصرة، فاذا غفلت هذه العين أو تغافلت، وأعطت جزءا من الصورة أو الواقعة وتركت جزءا ضللت القضاء، وضاع الحق، وفزع الناس.

٢ ـ أداء الشهادة الصادقة:

ولهذا كان للشهادة التي يدلي بها رجل الأمن بحكم عمله واطلاعه على وقائع الجريمة أو سماعه لإفادات المتهمين أو الشهود أثر كبير في تحقيق العدالة ورفع الظلم واكتشاف الجريمة وردع المجرمين.

---

١ ـ سورة المائدة. الآيتان: ١٥، ١٦

٢ سورة الحجرات. الآية: ٦

وقد أمر الله من يؤدي هذه الشهادة بأمور:

أ ـ القيام بالعدل ونصرته

ب ـ أداء الشهادة لله من غير زيادة أو نقص.

جـ ـ التجرد من الهوى وسلطان العاطفة

د ـ عدم الامتناع عن أداء الشهادة.

وهي أمور مطلوبة من رجال الأمن عامة، ورجال التحقيق خاصة.

قال تعالى:

﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وان تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾[1]

وفي سورة المائدة: ﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون﴾[2]

والمتدبر للآيتين الكريمتين، يجد أن كلمتي قوامين وشهداء تعلق بهما لفظ الجلالة مرة، ولفظ القسط مرة اخرى، إشارة الى ارتباط العدل بالايمان، وارتباط الايمان بالعدل.

قال صاحب الكشاف «قوامين بالقسط» أي مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا «شهداء لله» تقيمون شهاداتكم لوجه الله

---

١ ـ سورة النساء الآية ١٣٥

٢ سورة المائدة الآية ٨.

كما أمرتم باقامتها «ولو على أنفسكم» ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو على آبائكم أو أقاربكم[1]

والآية الكريمة تحذر من وقوع أهل الشهادة تحت تأثير الضغوط النفسية والاجتماعية التي من شأنها أن تحول بين المرء والادلاء بشهادته كما أمر الله، فوضحت الآية أن مصلحة الجماعة أولى من المصالح الفردية.

إن اقامة العدل واشاعة الأمن في المجتمع وما ينشأ عنه من بركات ونماء وازدهار اقتصادي يعم جميع طبقات الأمة، هو خير من مراعاة المصلحة الفردية الصغيرة لقريب أو فقير تأخذه عدالة القضاء وشهادة الحق

ان هذه الآية الكريمة توضح قبساً من التربية السياسية والاجتماعية لأبناء الأمة، والقانون الذي يدبر شؤونها وتحرره من القيم الجاهلية القائمة على نصرة القريب والصديق ظالماً أو مظلوماً

والقيم الايمانية التي ترعى العدل مع القريب والغريب والصديق العدو، تجعل الأمة أمة واحدة متماسكة متآزرة، السلطان فيها للقانون والنظام، والرعاية لحكم الشرع قبل حكم النفس والهوى وحكم العشيرة والطائفة.

وفي الصورة المقابلة نجد القيم الجاهلية كيف تحوّل المجتمع الى ولاءات فردية تقطع وحدته وتمزق ولاءه وانتماءه وتفسد روابطه، وتهدد كيانه وقوته

---

١ ـ الكشاف. الزمخشري. الجزء الأول. ص: ٥٧٥.

القدوة الحسنة:

ورجل الأمن بممارسته السلوكية وقيامه بمسئوليته يكون قدوة حسنة اذا رعى الحق والعدل وتحرر من هذه الضغوط الاجتماعية، شعاره كلمة الخليفة الراشد «القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، والضعيف قوي عندي حتى آخذ الحق له».

تحمل المسئولية بقوة وحزم:

وتحذر الآية الكريمة من سلطان الهوى وتأثيره على الشاهد، أو المحقق الشاهد لتغيير وقائع التحقيق أو اخفاء بعض المعلومات ذات التأثير على تحقيق العدالة، كما تحذره من التأخر والتباطؤ عن سرعة ملاحقة المتهم أو الجريمة ليتصل بوقائعها وبيّناتها قبل أن تمسها يد التزوير والتضليل والاخفاء.

وهذا ما ينبه اليه قوله تعالى: ﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وإن تلوا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً﴾[1]

قال صاحب الكشاف: «أن تعدلوا» يحتمل العدل والعدول، كأنه قيل لا تتبعوا الهوى كراهة أن تعدلوا بين الناس، أو ارادة ان تعدلوا عن الحق، «وان تلوا أو تعرضوا» وان تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق، أو حكومة العدل، أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها» فان الله مطلع على أعمالكم مجازيكم بها.

قراءة أخرى للآية تشمل الولاة على الشهادة والقائمين على رعايتها:

ذكر الزمخشري[2] قراءة أخرى للآية: ﴿وإن تلوُا أو تعرضوا﴾.

---

١ ـ سورة النساء. الآية: ١٣٥

٢ الكشاف ١/٥٧٥.

بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة أو أعرضتم عن اقامتها، فان الله كان بما تعملون خبيراً» وبمجازاتكم عليه[1]

وفي هذه القراءة خطاب لأهل الولاية من القضاة ورجال الأمن الذين يتولون أمور التحقيق واستجواب المتهمين وتدوين شهاداتهم وأقوالهم ودعاواهم، أن يقوموا بهذه الولاية بأمانة، ولا يكتمون شيئاً، ولا يحرفون، ولا يذكرون شيئاً ويطمسون شيئاً ولا يعرضون أو يتهاونون أو يتغافلون.

مسئولية رجل الأمن:

ورجل الأمن مسئول ـ وهو على ثغرة عظيمة، كبرت مسئوليته أو صغرت، وتعظم مسئولية الانسان بعظم آثارها على حياة الناس وأعراضهم ودمائهم وأموالهم، فاذا أحسن القيام بها عظم ثوابه، وان قصر عظم اثمه وعذابه وفي ضوء هذه المسئولية وخطرها نفقه أحاديث رسول الله (ﷺ) وما أعد الله من ثواب للمحسنين من الولاة وما أعدَّه من عذاب للمقصرين والظالمين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «ما من أمير عشرة الا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه إلا العدل»[2]

واذا لم تكن السلطة في خدمة الشعب ورعاية أمنه واقامة العدل بين الناس كانت هذه السلطة تسلطا وبغيا وظلما، وألقت صاحبها في الهلكات والعذاب.

---

١ ـ المصدر السابق.

٢ ـ رواه أحمد ـ الترغيب والترهيب ٣/١٧٤

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ «عرض علي أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله، وفقير فخور»[1]

وفي الحديث تنبيه على الفساد السياسي والاجتماعي الذي جمع بين ظلم الأمراء بالجور وظلم الأغنياء بالبخل، وظلم الفقراء بالفخر الكاذب.

وكلهم مستكبرون تحكمهم الجاهلية، ظالمون لأنفسهم، وظالمون لغيرهم.

وقد ورد مثل هذا التنبيه في حديث آخر حذر فيه رسول الله (ﷺ) من فساد السلطة السياسية بالاجتراء على ظلم الناس، والتنكيل بهم، والفساد الاجتماعي والأخلاقي الذي ينشأ عن عدم رعاية المرأة للأخلاق الأسلامية في سترها وعفتها.

قال رسول الله (ﷺ) صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت (المائلة) لايدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وان ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا[2]

ورد في تفسير كاسيات عاريات: أنهن كاسيات من نعم الله عز وجل، عاريات من شكره، وقيل يلبس ثيابا رقاقا تصف ما تحتها، فهن كاسيات في ظاهر الأمر، عاريات في الحقيقة

---

١ ـ رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحه، الترغيب والترهيب ٣/١٧٤

٢ أخرجه مسلم رقم ٢١٢٨ في الجنة باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

وفي التحذير من استغلال السلطة للتسلط والظلم وقهر الناس واذلالهم يقول رسول الله (ﷺ) يوشك أن طالت بك مدة ان ترى قوما في أيديهم مثل أذناب البقر يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله[1]

المسئولية رعاية وتوجيه وحزم:

ويضع رسول الله (ﷺ) لأصحاب المسئوليات معالم هادية وآدابا كريمة تعينهم على أداء رسالتهم، وتمكن لهم في قلوب الناس أسباب المحبة والثقة والتعاون.

وأول هذه الآداب أن المسئولية رعاية ونصح وتوجيه، فليس هم رجل الأمن أن يخطىء الناس حتى يعاقبوا، وانما همه تبصيرهم معاقبة الخطأ حتى لا يقعوا فيه، ويحذرهم من أسباب الجريمة حتى لا يرتكبوها.

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «مامن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله تعالى عليه الجنة».
وفي رواية: فلم يحطها بنصحه لم ير رائحة الجنة[2].

وعنه أيضا رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «مامن أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم، وينصح لهم، الا لم يدخل معهم الجنة[3].

---

١ أخرجه مسلم رقم ٢٨٥٧ في الجنة: باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.
٢ - رواه البخاري ومسلم.
٣ - رواه مسلم والطبراني.

رجل الأمن وصلته بالناس:

ومسئولية رجل الأمن تفرض عليه الا يحتجب عن الناس وان يكون دوما عند سمعهم وبصرهم، يجيب استغاثتهم، ويسمع شكواهم، ويبصر همومهم، ويطلع على معاناتهم، فهو أُذن خير، وعين رحمة، ويد أمانة، ترى فيهم الدولة قضايا الناس، ويرى الناس بهم رعاية الدولة واستقامتها وحرصها عليهم.

ولهذا كان هذا النذير من رسول الله (ﷺ) لمن ولاه الله مثل هذه المسئولية فاحتجب عن الناس.

عن ابن سريم عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه أنه قال لمعاوية: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم، وفقرهم احتجب الله دون حاجته، وفقره يوم القيامة، فجعل معاوية رجلا على حوائج المسلمين»[1].

ويؤكد هذا المعنى أحاديث اخرى لرسول الله (ﷺ) منها:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «قال رسول الله (ﷺ) من ولي من أمر الناس شيئا، فاحتجب عن أولي الضعف والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة»[2]

وعن أبي السماح الأزدي عن ابن عم له من أصحاب النبي (ﷺ) أنه أتى معاوية فدخل عليه، فقال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «من ولي من أمر المسلمين، ثم أغلق بابه دون المسكين

---

١ ـ رواه أبو داود واللفظ له والترمذي، الترغيب والترهيب ١٧٧/٣

٢ ـ رواه أحمد باسناد جيد والطبراني وغيره، الترغيب والترهيب ١٧٨/٣

والمظلوم، وذوي الحاجة أغلق الله تبارك وتعالى أبواب رحمته وفقره أفقر ما يكون اليها[1].

منهج الاسلام في حماية هذه الحقوق:

يسلك الاسلام في حماية حقوق الناس ورعاية الأمس الخطوات التالية:

١ ـ حسن اختيار رجل الأمن:

ان المسئوليات العظيمة المناطة برجل الأمن، وان التطور العلمي والتقني في حضارتنا المعاصرة تفرض على أصحاب القرار أن يولوا اختيار رجال الأمن أهمية كبرى ليكونوا على مستوى المهمة والمسئولية الملقاة عليهم، مراعين في اختيارهم الكفاءة العلمية والفنية، والكفاءة الايمانية الأخلاقية، وهذا ما نبه عليه رسول الله (ﷺ).

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله ألا تستعملني؟ قال: «فضرب بيده على منكبي، ثم قال: ياأبا ذر، انك ضعيف وانها أمانة، وانها يوم القيامة خزي وندامة، الاّ من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها[2]

وفي هؤلاء الذين يتحملون المسئولية وهم غير قادرين عليها يقول رسول الله (ﷺ) «ويل للأمراء ويل للعرفاء، ويل للأمناء»[3]

---

١ ـ رواه أحمد وأبو يعلى واسناد أحمد حسن، الترغيب والترهيب ١٧٨/٣

٢ ـ رواه مسلم، الترغيب والترهيب ١٦٠/٣

٣ ـ رواه ابن حبان والحاكم، الترغيب والترهيب ١٦١/٣

أي الذين يؤتمنون على حياة الناس ودمائهم وأموالهم وأعراضهم، ولا يقومون بها. فالسلطة بيد رجل الأمن اذا لم يحصنها بتقوى الله وخوف حسابه قد تؤدي به الى الظلم والطغيان، وقد تؤدي بصاحبها الى الانحراف، واستغلال الوظيفة لمصالحه الشخصية حيث يكون هو الرقيب والحامي للقانون والنظام.

ويحذر الرسول (ﷺ) أصحاب القرار ان يختاروا للولاية على الناس الضعيف ويتركوا القوي.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ) «من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»[1]

وفي حديث آخر: عن يزيد بن أبي سفيان قال: قال لي أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين بعثني الى الشام: «يايزيد إن لك قرابة عسيت ان تؤثرهم بالامارة، وذلك خوف ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله (ﷺ): «من ولي من أمر المسلمين شيئا، فأمر عليهم أحدا محاباة، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، أي فرضا ولا نفلا، حتى يدخله جهنم»[2].

٢ ـ التحذير من الضغوط التي تعبث بحقوق الناس:

ومنها الرشوة، والهدايا التي تقدم لاضاعة الحق:

قال تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾[3]

---

١ ـ رواه الحاكم، الترغيب والترهيب ٣/١٧٩

٢ ـ رواه الحاكم وأحمد، المرجع السابق ٣/ ١٧٩

٣ ـ سورة البقرة. الآية: ١٨٨

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله (ﷺ) الراشي والمرتشي»[1].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله (ﷺ) الراشي والمرتشي والرائش» يعني الذي يمشي بينهما[2]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «الرشوة في الحكم كفر وهي بين الناس سحت»[3]

٣ ـ الترهيب من الظلم والتحذير من دعوة المظلوم:

وأخطر ما يهدد العدالة ويضيع الحقوق، أن يكون صاحب الحق ضعيفا وأن يكون خصمه من أصحاب الجاه والكلمة والسلطان.

وهنا تجد ثمرة الايمان الحق حين يحصن صاحبه من هذه الضغوط ويصنع لهذا المظلوم قوة تتصل بحماية الله ورعايته لحقه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول عليه الصلاة والسلام بعث معاذا الى اليمن فقال: «اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب»[4]

٤ ـ تحويل ولاء العشيرة ونصرتها الى نصرة الحق وردع الظالم:

كان العرب يتناصرون بالعصبية القبلية الجاهلية شعارهم قول شاعرهم:

وما أنا إلاّ من غَزيَّة إنْ غوَتْ ... غَوَيتُ وإن ترشد غَزِيةُ أرشُد

---

١ ـ رواه أبو داود والترمذي.

٢ ـ رواه أحمد.

٣ ـ رواه الطبراني موقوفا باسناد صحيح، الترغيب والترهيب ١٨١/٣

٤ ـ رواه البخاري ومسلم.

فجاء الاسلام ليرشد الناس الى ماهو أعظم وأكرم وأقوم وهو نصرة الحق، فحين تنصره، تكون قد نصرت المصلحة العليا للجماعة التي يأمن بها القريب والبعيد، والغريب والصديق، ولئن فاتت قريبك مصلحة قرابة في حق قام عليه فان خيرا كثيرا ومصالح أعظم تعود عليه وعلى الناس في ظل العدل والأمن. وهذا المعنى يوضحه حديث النبي الكريم.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل: يارسول الله أنصره اذا كان مظلوما، أفرأيت إن كان ظالما كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه عن الظلم، فان ذلك نصره[1].

وهنا يتبين لنا مكانة رجل الأمن في المجتمع وأنه حين يمنع الظالم عن الظلم، فقد أخذ بيده الى شاطىء السلامة والأمان، وكان ناصرا له حين أنقذه من أسباب هلكته وفتنته في الدنيا والآخرة، ووفق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع.

التربية الايمانية وأثرها في حماية المجتمع وأمنه:

والدارس لكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) يجد الآيات الكثيرة والأحاديث تتضافر على تربية المسلم تربية ايمانية تنصر الحق وتكره الظلم، وتعافه حتى يكون المسلم مع الحق في بيته وتجارته ومسئولياته كلها، أبا كان أو معلما أو قائدا، أو جنديا.

---

١ ـ رواه البخاري ومسلم.

ولنقف عند بعض الآيات والأحاديث في هذا الباب:

قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار * مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾[1]

وفي الحديث القدسي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) فيما يروى عن ربه عز وجل أنه قال: «ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»[2]

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «اتقوا الظلم، فان الظلم ظلمات يوم القيامة»[3]

كلمة خالدة:

وتجلى لنا بعض هذه القيم الايمانية التي يتحلى بها الولاة وفي مقدمتهم رجال الأمن كلمة رائعة وصف بها الامام الحسن البصري ـ رضي الله عنه ـ الامام العادل لسيدنا عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه فقال[4] رحمه الله:

اعلم ياأمير المؤمنين أن الله جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد[5] كل جائر وصلاح كل فاسد. وقوة كل ضعيف، ونصفة[6]

---

١ ـ سورة ابراهيم. الآيتان: ٤٢، ٤٣.

٢ ـ رواه مسلم.

٣ ـ رواه مسلم وغيره.

٤ ـ الترغيب والترهيب ١٨٢/٣

٥ ـ هداية وارشاد.

٦ ـ اغاثة وانصاف.

كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف، والامام العدل ياأمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع ويكنفها من أذى الحر والقر[1] والامام العدل ياأمير المؤمنين كالأب الحفي على ولده يسعى لهم ويعلمهم كبارا، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته، والامام العادل ياأمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة حملته كرها ووضعته كرها، وربته طفلا، تسهر بسهره وتسكن بسكونه، ترضعه تارة، وتفطمه أخرى وتفرح بعاقبته وتغتم بشاكلته، والامام العدل ياأمير المؤمنين وصي اليتامى: وخازن المساكين يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم، والامام العادل ياأمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه، وتفسد بفساده، والامام العدل ياأمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر الى الله ويراهم، وينقاد الى الله ويقودهم، فلا تكن ياأمير المؤمنين فيما ملك الله كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال، وشرد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله، واعلم ياأمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها من يليها!؟ وان الله جعل القصاص حياة لعباده.

فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم؟؟ واذكر ياأمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشيائك عنده، وانصارك عليه، فتزود له، ولما بعده من الفزع الأكبر. واعلم ياأمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذي انت فيه، يطول فيه رقادك، ويفارقك أحباؤك، يسلمونك في قعره فريدا وحيدا، فتزود له ما يصحبك ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ واذكر ياأمير المؤمنين (اذا بعثر ما في القبور

---

١ ـ البرد.

وحصل ما في الصدور) فالاسرار ظاهرة والكتاب ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها﴾ فالآن ياأمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل لا تحكم ياأمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فانهم لا يرقبون في مؤمن الّا[1] ولا ذمة فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم باذهاب طيباتك في آخرتك لا تنظر الى قدرتك اليوم، ولكن انظر الى قدرتك غدا وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنت[2] الوجوه للحي القيوم، اني ياأمير المؤمنين وان لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهي[3] من قبل فلم آلك[4] شفقة ونصحا فانزل كتابي عليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته[5]

بين الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة:

ورجل الأمن يتعرض لضغوط كثيرة بحكم عمله.
وهو بين شفاعة حسنة تعين على الحق وشفاعة سيئة تنصر الباطل.
واذا كان من شأن المؤسسات أن تحمي رجالها المنتسبين اليها، وهم

---

١ ـ عهدا
٢ خضعت وذلت.
٣ اصحاب العقول
٤ لم أقصر
٥ ـ الترغيب والترهيب. على هامش. جـ ٣. ص: ١٨٢ منقولا عن العقد الفريد.

يرعون النظام ويطبقون القانون، فان من ثمرات التربية الايمانية ايضاأن تعطي صاحبها القوة والمقاومة في وجه هذه الضغوط ليثبت مع الحق ويرعاه، ويدحض الباطل ويزهقه.

قال تعالى: ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا﴾[1]

وقال رسول الله (ﷺ) «من حالت شفاعته دون حد من حدود الله عز وجل، فقد ضاد الله عز وجل، ومن خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ماليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال وردغة الخبال هي عصارة أهل النار»[2]

والتربية الايمانية تعطي صاحبها القوة ليتحرر س سلطان المديح الكاذب، وارضاء الناس على حساب الدين والفضيلة

عن رجل من أهل المدينة قال: كتب معاوية الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي لي كتابا توصيني فيه ولا تكثري علي، فكتبت عائشة الى معاوية سلام عليك، اما بعد: فاني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس، والسلام عليك[3].

---

١ ـ سورة النساء. الآية: ٨٥.

٢ رواه مسلم.

٣ ـ رواه الترمذي.

رجل الأمن وأعوانه الصالحون:

واذ كان رجل الأمن عين السلطة ويدها، فان هذه العين لا يتأتى لها ان تحيط بمسؤوليتها لتكون رؤيتها محيطة شاملة، الا اذا كسب صاحبها ثقة الناس وتعاون مع الشرفاء منهم، الذين يؤمنون بأن أمن البلد عبادة يتقرب بها الى الله، وان الاخلال بالأمن جريمة ومعصية واثم كبير

وكلما نجح رجال الأمن في تعميق هذا المعنى في نفوس الناس عن طريق السلوك الحميد، والخلق الكريم، والممارسات النظيفة الشريفة كانت ثقة الناس بهم أكبر وتعاونهم أعظم، ووجدت معهم حولهم من الأعوان الأتقياء المخلصين الذي يعينونهم على تحمل المسئولية والقيام بواجبهم.

وقد نبه القرآن الكريم الى أمرين:

أولهما: ﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[1]

ثانيهما: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾[2].

فمن شأن أهل الايمان أن يتعاونوا على حفظ الأمن في مجتمعهم وتطهيره من الظلم والمنكرات قال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[3].

---

١ ـ سورة التوبة. الآية: ٧١

٢ ـ سورة الأنعام. الآية: ١٢٩

٣ سورة الأنعام. الآية: ٨٢.

ومن شأن أهل الفساد أن يتعاونوا على باطلهم وفسادهم، ﴿والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون﴾[1]

وقد وردت الأحاديث عن رسول الله (ﷺ) التي تأمر أصحاب الولايات باتخاذ البطانة الصالحة والأعوان الخيرين. منها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (ﷺ) اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره، وان ذكر أعانه، واذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره، وان ذكر لم يعنه[2].

ومن الجدير بالذكر هنا أن كلمة وزير ليست قاصرة في معناها على المنصب السياسي المصطلح عليه في الحكومات المعاصرة، وانما يشمل في دلالته اللغوية المعين والعضد والمساعد القوي لصاحبه، وفي دعاء موسى عليه السلام، اجعل لي وزيرا من أهلي، ولم يكن موسى عليه السلام أميرا أو ملكا ولم يكن هارون ذا مسئولية سياسية في عرف هذا الزمان.

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: «مابعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان: بطانة تأمر بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمر بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله[3].

١ - سورة التوبة الآية: ٦٧

٢ - رواه أبو داود.

٣ - رواه البخاري.

واذا كان من سياسة الأجهزة الأمنية في مجتمعاتنا أن تدعم مؤسساتها بالكفاءات العلمية والفنية وان تستعين بأصناف شتى من الناس تقتضي الاستعانة بهم طبيعة عملها، فان رجال الأمن الناجحين هم الذين يحكمون الصلة دوما بينهم وبين القوى الصالحة النظيفة في المجتمع المنتمية بصدق لوجوده ودينه وحضارته، ليكون كل مواطن شريف خفيرا في الثغرة التي يقف عليها وليكون المجتمع كله جيشا وراء الجيش ورجال أمنه يشاركون في حفظ أمنه وقوته في الجبهة الداخلية كما يشاركون في حفظ كرامته والدفاع عن حرماته في جبهته الخارجية

اصلاح الفرد والمجتمع:

يتحمل رجل الأمن مسئولية كبيرة في الاصلاح بين الناس واطفاء نار العداوة، وازالة أسباب الخصومة حتى لا تمتد آثارها، وتشتعل احقادها. ورجل الأمن قادر على تطويق الخصومة من البداية بحزمه وحكمته، حين يسمع من الأطراف المتنازعة، ثم يبين لكل منهم وجه تقصيره وخطئه، ويفتح لهم باب الصلح والتسامح، قبل أن يتطور الأمر، ويتسع.

ولكل قضية خصوصياتها وما كل قضية تصلح للانهاء القريب السريع وما كل قضية يحسن ان تمتد وتتحول للقضاء.

ولكل بيئة خصائصها ومشكلاتها فلأهل البداوة مشكلاتهم، وكذلك لأهل الفلاحة والزراعة، وللمجتمعات القبلية والعشائرية، ولأهل المدينة وللعمال، وأصحاب الصناعات، وكلما اتسعت ثقافة رجل الأمن وخبرته كان أقدر على الاصلاح.

وحسن صلة رجل الأمن بالقيادات الفكرية والاجتماعية والنقابية في البلد قد تساعده على فهم الواقع وانهاء الخصومات، واحلال الصلح والسلام بين المتخاصمين.

ولرجل الأمن في هذا الاصلاح قيود وضوابط حتى لا يتم الصلح على حساب العدل والمجتمع وأمنه واستقراره.

وقد ورد الأمر بالاصلاح بين الناس في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. قال تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف، أو اصلاح بين الناس، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما﴾[1] قال تعالى: ﴿انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾[2].

وقد نبه القرآن الكريم على الاستعانة بأصحاب الرأي والحكمة في انهاء الخصومات بالعدل بقوله تعالى: ﴿وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا﴾[3]

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا بلى قال: اصلاح ذات البين، فان فساد ذات البين هي الحالقة»، وفي رواية «لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»[4].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال؛ قال رسول الله (ﷺ) «أفضل الصدقة اصلاح ذات البين»[5].

١ ـ سورة النساء الآية: ١١٤
٢ سورة الحجرات. الآية: ١٠
٣ ـ سورة النساء الآية: ٣٥
٤ ـ رواه أبو داود.
٥ رواه الطبراني والبزار

وروي عن أنس رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال لأبي أيوب: «الا أدلك على تجارة، قال: بلى. قال؛ صل بين الناس اذا تفاسدوا وقرب بينهم اذا تباعدوا[1]

وجدير برجل الأمن الذي يجعل الاصلاح بين الناس همه ومقصده ان ينجح في اداء رسالته، ويشيع الأمن والسلام، ويطفىء نار العداوة والخصام بين الناس.

رجل الأمن واصلاح العصاة والمجرمين:

ويتحمل رجل الأمن مسئوليته باصلاح المذنبين الذين ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم وظلموا مجتمعهم.

ونهديه في أداء مهمته هذه التوجيهات التالية:

١ ـ ملاحظة الفروق الخاصة بين المذنبين فليس من وقع أول مرة في الاثم، ومخالفة القانون كأصحاب السوابق الذين مرنوا عليها، وليس الشاب، كالكهل، وليس الرجل كالمرأة.

٢ ـ التذكير بالتوبة ووصل المذنبين بسعة رحمة الله ومغفرته اذا تابوا توبة نصوحا.

للنفس الانسانية مداخلها، وقد يجد الانسان في السجن فترة يحاسب فيها نفسه، ويعرف خطأه، فاذا وجد من يحسن تذكيره بربه، وعفوه، وينادي لاصلاح ما بقي من حياته في ظل منهج الله، ليجد الله غفورا رحيما، فمثل هذا التوجيه من شأنه أن يساعد في الاصلاح من الداخل، حتى اذا انتهت فترة العقوبة عاد الى المجتمع عضوا سليما معافى، عاملا منتجا بدل أن يعود وقد كسب خبرة بالسوء وافسادا في الأرض.

---

١ ـ رواه البزار.

رجل الأمن الانسان:

ورجل الأمن يتصل بحكم عمله بأصناف من الناس بحاجة الى رحمته ورعايته.

فهؤلاء الذين سقطوا في الطريق بحاجة وهم يقضون فترة العقوبة الى حظ من الرحمة يستنقذ بقية الخير فيهم حتى لا يتحولوا الى عتاة مجرمين.

فهذا الانسان السجين الذي فقد حريته بحكم القضاء لفترة من الزمن، وهذا السجين لا ندري ما وراء جريمته فللنفس الانسانية اسرارها، وغموضها، وظروفها، والقاضي الذي أنزل العقوبة ليس معصوما من الخطأ.

وللمجتمع والبيئة التي ينشأ فيها الانسان تأثيرها، وآثارها وضغوطها، وأمراضها، وقد يكون السجن المصح الذي يشفى به هؤلاء المخطئون اذا لمستهم يد راعية حانية، بصرتهم بخطئهم، واعادت الثقة الى أنفسهم، وبعثت فيهم الأمل ليستنفذوا انسانيتهم من ركام الخطايا ويستنفذوا قلوبهم من قساوة التمرد والاجتراء على الباطل

وقد أولت الأنظمة المعاصرة السجناء عناية كبيرة، وحولت كثير من الدول السجون الى دور اصلاح يتعلم فيها السجين مهنة شريفة، ويمارس بعض الأعمال القريبة الى نفسه، ويستمتع بالشمس والهواء، والتلفاز والصحف، والتجول في حدائق السجن الواسعة، وأسباب الترفيه فيه، واستقبال زواره من اهله ومعارفه.

والاسلام دين الرحمة، أولى الناس برحمة هؤلاء الضعفاء الذين سقطوا في الطريق، فما أحوجهم الى اليد الكريمة الحانية التي تساعدهم على النهوض والشفاء والاصلاح.

والآيات والاحاديث في هذا الباب كثيرة منها:

قال تعالى: ﴿قل ياعبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾[1]

وقال تعالى: ﴿واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى[2]

وقال رسول الله (ﷺ) «لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه، من احدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك، اذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شده الفرح: اللهم انت عبدي وأنا ربك اخطأ من شده الفرح»[3]

وقال (ﷺ) «ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها[4]

---

١ - سورة الزمر الآية ٥٣ - ٥٥.

٢ - سورة طه الآية: ٨٢.

٣ رواه البخاري ١١، ٩١، ٩٢ ومسلم رقم ٢٧٤٧

٤ - رواه مسلم، رقم ٢٧٦٠

كما نجح رجل الأمن في اختراق حواجز قلوب العصاة بنور التوبة، بعث الأمل في نفوسهم لاستئناف حياة كريمة وبدء صفحة جديدة وضيئة، وانه اذا فاتتهم فرصة فيما مضى من العمر، فلا تفتهم الفرصة فيما بقي من العمر، والأمور بخواتيمها، وكلما كان التوجيه عميقا مؤثرا صادقا كانت له آثاره في استنقاذ نفوس تراكمت عليها الخطايا وضلت بها السبل.

رجل الأمن والمحافظة على أسرار الناس:

ورجل الأمن بحكم عمله يطلع على كثير من أسرار الناس وأحوالهم، وشرف العمل يقتضي المحافظة على هذه الأسرار، واصلاح من كشفت الأجهزة أمره سرا، تحت جناح الستر. باسداء النصيحة الهادية والتبصير بالعواقب قبل وقوعها. والنصيحة بناء واصلاح، وفرق كبير بينها وبين الفضيحة التي تهدم وتكسر الحاجز النفسي الذي يمنع الانسان من الاجتراء على المعصية أو القانون والنظام.

وقد حذر رسول الله (ﷺ) من المجاهرة بالمعصية واعلانها، لأن ذلك يشجع عليها. قال رسول الله (ﷺ) «كل أمتي معافى الاَّ المجاهرين[1]

وأرشدنا رسول الله (ﷺ) على المحافظة على ثوب الستر لا يخرق ويكون خرقه شرا على صاحبه وعلى المجتمع بالتقليد الآثم الظالم.

وفي الحديث عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ان النبي (ﷺ) قال: «ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»[2].

---

١ رواه أبو داود

٢ ـ رواه أبو داود والنسائي.

وعن دخير أبي الهيثم كاتب عقبة بن عامر قال: قلت لعقبة بن عامر ان لنا جيرانا يشربون الخمر وأنا داع لهم الشرط. قال: لا تفعل وعظهم وهددهم قال: اني نهيتهم فلم ينتهوا وانا داع لهم الشرط ليأخذهم، فقال عقبة: ويحك لا تفعل فاني سمعت رسول (ﷺ) يقول: «من ستر عورة فكأنما استحيا مؤودة في قبرها.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله (ﷺ) المنبر فنادى بصوت رفيع فقال؛ يامعشر من أسلم بلسانة ولم يفض الايمان الى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا فانه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحة، ولو في جوف رحله ونظر ابن عمر يوما الكعبة فقال: ما أعظمك وما أعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك»[1]، الا أنه قال فيه: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيّروهم، ولا تطلبوا عثراتهم، الحديث.

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ)يامعشر سن آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فانه من اتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومس تتبع الله عورته يفضحه في بيته[2]

وعن معاوية رضي الله عنه: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «انك ان اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أوكدت تفسدهم»[3]

---

١ ـ رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه

٢ ـ رواه أبو داود عن سعيد الخدري، ورواه أبو يعلى باسناد حسن من حديث البراء.

٣ رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

وعن شريح بن عبيد عن جبير بن نفير، وكثير بن مرة، وعمرو بن الأسود، والمقدام بن معد يكرب وأبي أمامة رضي الله عنهم عن النبي (ﷺ) قال: ان الأمير اذا ابتغى[1] الريبة في الناس أفسدهم[2]

وفي رعاية السجين وحسن تعهده نذكر قوله تعالى:

﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيرا، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا * انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نظرة وسرورا﴾[3].

وتشمل كلمة الأسير، هؤلاء الذين حجزت حريتهم بحكم الحرب، أو بحكم القانون، فالعلة الداعية الى رعايتهم واحدة وهي حجز الحرية.

وقد ذكر لنا التاريخ الاسلامي صورا مشرقة لهذا الايثار منها ما ذكره أبو عزيز بن عمير أخو مصعب. الذي وقع أسيرا بيد المسلمين في غزوة بدر، وكيف كان من أسروه يؤثرونه بالطعام والتمر على أنفسهم[4].

---

١ ـ طلب الشكوك أوقعهم في الضلال. معناه الحاكم ان أدخل الأوهام والظنون السيئة على قومه جرأهم على الفسوق، وفتح لهم باب الاضرار والاجرام، والمراد الاجتهاد في ستر الذنوب.

٢ رواه أبو داود من رواية اسماعيل بن عياش.
أنظر: الترغيب والترهيب. جـ ٣ ص: ٢٣٩، ٢٤٠

٣ ـ سورة الانسان. الآية: ٨ ـ ١١

٤ ـ مختصر السيرة النبوية الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله الوهاب.

والمتأمل في الآيات الكريمة يجد مايلي:

١ ـ محسن يقدم طعامه وهو محتاج اليه، الى فقير واسير أشد حاجة.

٢ ـ لا يرجو المحسن ممن أحسن اليه جزاء ولا شكورا.

٣ ـ يبذل ما يبذله لوجه الله ورضوانه، ومن رضوان الله أن يعود هذا الأسير عضوا صالحا في المجتمع فينجو، وأن يمن الله على المحسن باحسانه يوم القيامة، فينجو من عذاب الله وبهذه اللمسات الحانية لا يتحول المجتمع الاسلامي الى مجتمع حقد وكراهية وجريمة شأن المجتمعات المادية. وانما يتحول الى مجتمع رحمة ومحبة واصلاح وتعاون على البر والتقوى تلتقي فيه الدنيا بالآخرة، ويصنع فيه الايمان معجزاته ويحقق آثاره في اصلاح النفوس، واجتثاث بذور الجريمة من نفس الانسان، باستثارة معاني التقوى والتذكير باليوم الآخر، والتنبيه على ما يجده المحسنون والتائبون من فضل الله وعفوه ورحمته، اذا احسنوا العمل وصدقوا في التوبة وقد وردت الأحاديث النبوية تحث على غرس هذه القيم وتعميقها في نفوس المؤمنين منها.

عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»[1]

وعن أبي موسى رضي الله عنه أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: لن تؤمنوا حتى تراحموا، قالوا: يارسول الله كلنا رحيم؛ قال: انه ليس برحمة أحدكم صاحبة ولكنها رحمة العامة[2]

وأولى الناس برحمة العامة أصحاب الولايات عليهم ومنهم رجال الأمن.

---

١ ـ رواه البخاري ومسلم والترمذي.

٢ رواه الطبراني ورواته رواه الصحيح.

ويضع رسول الله (ﷺ) هذه التوجيهات الكريمة لمن ولاهم الله أمر الناس حتى يحفظ الله عليهم نعمه ويزيدهم قوة الى قوتهم.

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال؛ قام رسول الله (ﷺ) على بيت فيه نفر من قريش، فأخذ بعضادتي الباب، فقال: هل في البيت الا قرشي؟ فقالوا: لا الا ابن اخت لنا، قال: ابن اخت القوم منهم ، ثم قال ان هذا الأمر في قريش ما اذا استرحموا رحموا، واذا حكموا عدلوا، واذا أقسموا أقسطوا، ومن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[1]

وفي النذير الذي تحمله اللعنة في خاتمة الحديث عظة لأهل الحكم والولاية ان يكسبوا محبة الناس ودعواتهم الصالحة بالرحمة والعدل والصدق، بدل أن تكون لعنة وعذاب كبير. والرحمة والعفة واقامة العدل بين الناس صفات مميزة للانسان المسلم.

عن عياض رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال[2]

---

١ رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورواته ثقات.

٢ ـ رواه مسلم.

القيم الأخلاقية لجهاز الأمن وتطبيقاتها في مجالات العمل الأمني

الدكتور التهامي نقره(*)

التمهيـــــد:

ان التمهيد لهذا الموضوع الحيوي الهام يقتضي تحديد ثلاث عبارات وردت فيه، وهي **الأمن، والقيم الأخلاقية، وجهاز الأمن.**

١ - فمعنى الأمن:

زوال الخوف واطمئنان القلب، والشعور بالسلامة في حياة الفرد والمجتمع بالوطن. قال تعالى: ﴿واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا﴾[١] لأن الله حرم مكة المكرمة يوم خلق السماوات والأرض، كما جاء في الصحيحين عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، أن النبي (ﷺ) قال يوم فتح مكة «ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة، وانه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار، ولا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا تلتقط لقطته الا من عرفها .» الحديث.

جعل الله بيته في أمن من العدو، فحرم أن يحمل فيه السلاح بعد أن كانوا في الجاهلية يتخطف الناس من حولهم كما أشار الى ذلك القرآن الكريم.

(*) رئيس قسم القرآن بالكلية الزيتونية. تونس.

١ - سورة البقرة. الآية: ١٢٥

وبين الأمن والايمان علاقة وثيقة لا من حيث أصل الاشتقاق فحسب، بل هي علاقة النتائج بالمقدمات، والأسباب بالمسببات اذ الأمن أثر من آثار الايمان وثمرة من ثمراته كما ورد ذلك في أكثر من آية

قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾[1] فإذا كان الايمان اذعاناً للحق بتصديق القلب واقرار اللسان وعمل الجوارح، فان الله تعالى جعل من آثاره في النفس وفي الحياة أمناً لا تزدهر حياة أمة ولا تتم حضارتها الاَّ في ظله، فهو من أجل نعم الله على خلقه، إذ منَّ به على قريش في قوله: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾.

ومجرد الشعور والاحساس بالأمن سعادة فريدة من نوعها في حياة الانسان. والايمان الخالص من شوائب الشك والشرك هو الذي يتحقق به الأمن. قال تعالى: ﴿الذين آمنو ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[2]

وكان ذلك مما حاجّ به ابرهيم عليه السلام قومه المشركين، فقال عز وجل: ﴿وحاجّه قومه، قال: أتحاجوني في الله وقد هدان، ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي، وسع ربي كل شيء علما أفلا

---

١ سورة النور. الآية: ٥٥.

٢ - سورة الأنعام. الآية: ٨٢.

تتذكرون * وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا. فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون﴾[1]

فليس من شأن القلب السليم أن يركن الى الباطل ويطمئن اليه، أو يأمن بما يحدث منه الخوف والنقمة، وقد خلقه الله على فطرة قويمة يميز بها الخير والشر ووظيفة العقل أن يؤثر على الارادة ويتغلب على النزعات والنزوات لينجو من السوء. قال تعالى: ﴿من يعمل سوءاً يجز به، ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا﴾[2]. فكيف يأمن ذو العمل السيء من سوء الجزاء، والله سبحانه وتعالى ينكر عليه أمنه وغفلته عن عذابه: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾[3].

وانما يخشى فقد نعمة الأمن من كفر بنعم الله فاهدرها أو استعملها في غير ما أعدت له كظلم نفسه بالتقصير في حق ربه وظلم الناس بالسلطة وقهر الضعيف بالجاه وايذاء الغير بالمكر والتهافت على الشهوات بالمال.

ومن نسي ربه في نعمائه، واستمر في غلوائه وكبريائه ولم يخش سوء العاقبة في بأسائه وضرائه فقد تعرض لسخط الله ونقمته. وما أكثر جحود الانسان وكنوده لربه في رخائه ونعمائه!

﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما

١ سورة الأنعام. الآية: ٨١.
٢ - سورة النساء. الآية: ١٢٣
٣ - سورة النحل. الآية: ٤٥.

كانوا يصنعون﴾[1] ولقد صدق الشاعر الكبير محمد اقبال حين قال:

إذا الايمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لم يحي دينا

٢ ـ ومعنى القيم الأخلاقية:

أن تكون الغاية من القول والتصرف ايمان الانسان بأنها موافقة للمثل العليا التي أخذت مكانها في فطرته السليمة، وانها تستهدف الفضيلة التي يتميز في ضوئها الخير والشر، والرشد والغي، كما تهدف الى ما يرضي الله وينفع الناس، وينهض بالمجتمع في جميع المجالات التي تنهض بالمجتمعات كالصلاح والتقوى والتحابب والتعاون والتكافل والاستقامة وشرعية الكسب، والمعاملة بالحسنى فتتحد الارادتان والغايتان: ارادة الله وغايته، وارادة الانسان وغايته

وللقيم الأخلاقية تأثير على نظرتنا وارادتنا ونفسيتنا في الأقوال والأفعال والأشياء، إما بالموافقة والملائمة، وإما بالمفارقة والتنافر ونفوسنا هي التي تضفي عليها القيمة، وذلك بحسب تفاعلها معها، وبحسب ما نحس فيها من خير.

بيد أن هذه القيم الخلقية يجب تحديدها بمعايير مضبوطة تمكّن من تقويمها بصورة موضوعية فما هي هذه المعايير؟

ان علماء الأخلاق مختلفون فيها، وأنا لا أحب أن أخوض في مناقشة آرائهم ومذاهبهم المختلفة في نوعية المعايير الخلقية التي يعتمدونها عند التقويم، كالتكيف البيئي الذي نادى به (سبنسر)، ويعني التوافق مع البيئة؛ والمذهب التجريبي أو البراجماتي الأمريكي

---

١ سورة النحل. الآية: ١١٢

الذي يقيس الأعمال الأخلاقية بآثارها، أي بمدى ما ينتج عنها س نفع مادي أو معنوي. والمذهب العقلي الذي تمتد جذوره الى فلاسفة الاغريق والى المتكلمين من المعتزلة، والذي يعتبر عندهم المعيار الوحيد للتمييز بين الخير والشر والصلاح والفساد، ولكن أحب أن اقتصر على بيان مفهوم القيم الأخلاقية من وجهة النظر الاسلامية التي تنقسم معاييرها الى قسمين لا يصح أن يستقل أحدهما عن الآخر أو ينفصل، وهما:

١ ـ المعايير الشرعية:

وتمثلها جملة من المبادىء والفضائل دعا اليها الاسلام وبيَّن في جلاء ما يريده الله لعباده وما ينبغي أن يكون عليه سلوكهم في هذه الحياة وصلتهم بالله وبأنفسهم وبغيرهم من الخلق، وقد بسطها القرآن والسنة لتكون منارآ للهداية الربانية في ظلمات الحياة، كالاخلاص لله في الأعمال، وتحري الصدق في الأقوال، وتجنب الكذب والرياء، والمحافظة على العهود والأمانات، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، والمساواة والعدالة والتسابق الى الخيرات والفضائل واتقان العمل، والاعتدال والتوسط في الأمور ونحو ذلك مما يدخل في معايير الأدب مع الله وحسن الخلق مع الناس.

ويرتبط هذا المعيار وثيق الارتباط بالقسم الثاني ويخضع له كل الخضوع وهو:

٢ ـ المعايير الذاتية الداخلية:

وتتمثل في القوة العقلية وفي القوة الوجدانية أو الروحية فيظهر دور العقل باعتباره معياراً لوزن المواقف والتصرفات بالاجتهاد

والرأي فيما لم يرد فيه نص بكتاب الله أو سنة رسوله ولهذا وجهنا الله تعالى الى مراعاة السنن والأسباب فقال: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾[1].

وأما القوة الوجدانية أو الضمير الأخلاقي: فهي القوة الفطرية التي تجعل الانسان السوي يشعر بالرضى والارتياح اذا فعل الخير، وبالقلق والندم اذا فعل الشر، وذلك لقول النبي (ﷺ) فيما رواه مسلم في كتاب البر والاثم: «البر: ما اطمأنت اليه النفس، واطمأن اليه القلب. والاثم، ما حاك في نفسك وتردد في الصدر».

وفي رواية: «ما كرهت أن يطلع عليه الناس وان أفتاك الناس وأفتوك».

فالفطرة مجرد قوة مستعدة للتمييز بين الطيب والخبيث، ودليلها المثبت لوجودها أننا نحس في قرارة نفوسنا بهذه الحقيقة وبذاك الشعور.

ويدخل في هذا القسم من المعايير الاسلامية للقيم الأخلاقية **الدافع الداخلي** كالنية والقصد والغاية التي هي آخر ما يهدف اليه الانسان من وراء فعله، ومن هنا ندرك كيف أن النية الحسنة تجعل الأعمال المباحة عبادة يثاب فاعلها عليها، وكيف أنها لا تعتبر حسنة ولا قبيحة في ذاتها، بل بالنية التي تدفع اليها[1].

---

١ ـ سورة الحشر الآية: ٢

٢ ـ مقداد يالجن. الاتجاه الأخلاقي في الاسلام. القاهرة. ١٩٧٣ ص. ٢٨٦ ـ ٢٩٠

٣ ـ وأما تحديد العبارة الثالية في هذا التمهيد وهو **الجهاز الأمني**:

فقد يسبق الى الأذهان ان المراد به استخدام الأجهزة العصرية التي يستعملها رجال الأمن في البلدان المتقدمة للتوصل الى معرفة المجرمين والمهرّبين والحصول على كل المعلومات التي تهم المحققين والمفتشين من رجال الأمن بكل يسر وسرعة، والكومبيوتر وغيره من الوسائل المتطورة، وبيت المراقبة والعمليات الأمنية، فهذا صحيح ولكن على أساس أن العنصر البشري هو الأساس في كل عمل أمني في الحفاظ على الأمن مهما تقدمت الوسائل وتطورت الأجهزة، لأن توفير المعاهد المتخصصة التي تكوِّن الاطارات والفنيين والخبراء الماهرين في مختلف جوانب الاختصاص التي اتسع نطاقها في العصر الحديث فأصبحت تشمل الأمن الغذائي والأمن الفكري والأمن العسكري، والأمن السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ولم يعد الأمن منحصراً في معناه القديم الضيق وهو الجانب الجنائي بل صار مواكباً لمسيرة التنمية الشاملة التي يسعى اليها كل مجتمع ينشد الرقي والتقدم ويهتم بما يوفر السلامة من الكوارث الطبيعية، كالزلازل والفيضانات، والصناعية كتسرب الأشعة من المفاعلات النووية والغازات السامة من المصانع الكيميائية، كالتي حدثت في روسيا والهند، كما قال الدكتور فاروق عبدالرحمن مراد رئيس المركز في بعض ندواته: (ان الذرة وان كانت لها نتائج ايجابية هامة في المجالات العلمية، الا أنها أضحت تمثل خطراً قائما من ناحية أخرى. وقد آن الأوان للمجتمعات العربية أن تبحث هذا الموضوع بكل جدية وموضوعية وان تبحث عن سبل الوقاية من تلوث المحيط الذي يتصل مباشرة بصحة الانسان وسلامته من كل ما يهدده من أخطار).

فالاهتمام يجب أن يتركز على الوقاية من الجريمة لا على مكافحتها، وعلى صد المجرم عن ارتكابها لا على ردعه بعد ارتكابها، وبالخصوص في الجرائم التي تهدد أمن المجتمع الدولي وتستدعي عملا سريعاً مجدياً لتوفير الاجراءات الوقائية مثل تهريب المخدرات وتدليس الجوازات.

ولا بد لرجل الأمن من ثقافة عامة تتصل بميدانه ومن تخصص جزئي في مجالات الأمن والجريمة، كما تفعل اليوم الدول المتقدمة حتى تنجح في أداء مهمته

تخصص رجل الأمن:

فمما ينبغي أن يشترك فيه رجال الأمن جميعاً من المعارف والخبرات أصول العلوم النفسية والاجتماعية التي يمكن تطبيقها عملياً والمهارة التي لا تكتسب الا بطول الخبرة والممارسة وسبل مقاومة الارهاب التي كاد يصبح سمة من سمات العصر، لتعدد صوره وتنوع أشكاله وكذلك العنف الذي يقترن به العمل الاجرامي في وحشية مفرطة لزعزعة الأمن وبث الفوضى داخل المجتمع، واحداث التفكك والخلل في العلاقات وكذلك طرق الكشف عن الجرائم الغامضة للوصول الى معرفة الرؤوس المدبرة والعوامل الدافعة لها، والأهداف المرادة منها، وحسن استعمال الأجهزة المتطورة في مجال منع الجريمة أو الكشف عن خيوطها بالمخابر، كمخبر البصمات واستخدام الكلاب البوليسية في الجمارك، للبحث عن المخدرات، وأجهزة أشعة ايكس التي تكشف عما في حقائب المسافرين لضمان سلامتهم وأمنهم، وسائر عمليات التدريب في

مجالات المعاينة والرقابة والتفتيش وما يتطلب ذلك من يقظة وانتباه لمعرفة القرائن الظاهرة والخفية التي تنير طريق البحث عن المجرمين وأوكارهم وعصاباتهم وحيلهم والتعقيب الخفي لأصحاب الشبهات وكل من لديهم ميل واستعداد للاجرام وأسلوب التعاون النزيه مع المواطنين لمقاومة أي أسلوب عدواني، حتى تتضافر جهودهم وتتكامل وتؤتي ثمارها المرجوة باعتبار أن هذا التعاون يفرضه مبدأ الحفاظ على الأمن الاجتماعي الذي هو مسئولية مشتركة بين الجميع.

ومن ناحية أخرى فان المعارف الأمنية تختلف بحسب مجالاته الواسعة والمتنوعة، فجرائم الحرابة والسطو والسرقة تختلف عن جرائم تهريب المخدرات وترويجها، وعن جرائم الاعتداء على أمن الدولة الداخلي والخارجي، وعن جرائم التزوير والتزييف والتحيل، وعن جرائم القرصنة، وعن جرائم الانحرافات الفردية في المجتمع بكل أشكالها، وعن جرائم حوادث المرور. وجرائم الأحداث تختلف في دوافعها ونتائجها وطرق علاجها عن جرائم الكبار، كما أن الجرائم السياسية التي يقصد بها النيل من نظام الحكم القائم، وما يعرف بالخيانة العظمى تختلف عن الجرائم الأخرى، وجرائم البلاد المتقدمة صناعياً تختلف عن جرائم بلدان العالم الثالث.

فنحن نرى أن مشاكل الأمن تتفاقم وتزداد حدّتها وخطورتها في البلاد العربية وغيرها لأسباب داخلية، كالبطالة والمحسوبية والرشوة وانعدام العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص والانحلال الخلقي والتفكك الأسري، والتخلف العلمي، والانفصام عن القيم الاسلامية، والمغالاة والتطرف وصراع الايديولوجيات المستوردة في الوطن الواحد، وما تولده مسيرة النمو والتطور والحضارة الحديثة من مشاكل وعدم احترام الحريات الأساسية للانسان.

وأما الأسباب الخارجية فمنشؤها في الغالب الاحتكاك المستمر بالعالم الخارجي، وتطور أجهزة الاعلام بالأقمار الصناعية وغيرها، وسرعة النقل والاتصال والسياحة، وما ينتج عن ذلك من عوامل التقليد والتأثر بالجوانب السلبية منها، وكذلك مؤامرات الأعداء على الأوطان والتفرقة بين أبنائها واشتعال نار الفتنة والحرب بين الأشقاء وغير ذلك مما يخل بالأمن الخاص والعام. لذا وجب التصدي للتحديات الأمنية التي تواجهنا بكل موضوعية وحزم، وتحديث الأجهزة والتخصص العلمي والتدريبي في نطاق استراتيجية عربية شاملة لكل الميادين الأمنية في السياسة والاقتصاد، والاجتماع والثقافة، والاعلام والدفاع، ومقاومة الارهاب، والقرصنة وغير ذلك من القضايا الكبرى التي تستأثر باهتمام الأمة العربية، وتتطلب عملا عربياً مشتركاً، وتعاوناً متيناً، وخبرات دقيقة بتبادل المعلومات في عصر الاحلاف والتكتلات.

وللمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب دور طلائعي رائد وجهاز أمني متطور في هذا المجال لتنسيق العمل الأمني بين البلاد العربية وتكوين اطارات الأمن وأجهزته في جلّ الاختصاصات، وهو جدير بأن تقدم له الأقطار العربية قاطبة الدعم المادي والأدبي ليواصل رسالته الأمنية على أفضل الوجوه وأكملها؛ لأن في هذا المركز الكبير من المرافق والأجهزة، ولمسيّرية من النشاطات العلمية والنظرية والتطبيقية المختصة، والتدريبات الفنية الدقيقة في مختلف الاختصاصات ما يجعل مردوده عظيماً، والافادة من توظيف امكاناته واسعة النطاق، لكن الآلات والامكانات والمرافق، وان كان لها دور في انعاش الأمن وتنشيطه وتطوير عملياته ليست في الحقيقة الا أدوات صماء لا تعي ولا تؤدي دورها الاّ بخبرة وحكمة من يديرها من قادة

الأمن ورجاله واطاراته الفنية، ومدى قدرتها على التغيير ورفع المستوى الأمني في جميع المستويات العلمية والفنية والعملية والتنظيمية والخلقية.

فالكفاءات العالية في هذا القطاع الحيوي الهام، وكذلك المبادرات الذكية لتحسين طرق الاعداد والتنفيذ والسمو الخلقي، وما يجب أن يتصف به العمل الأمني من حزم في كياسة، وعدل بحكمة واخلاص في تفان، وتصرف باتزان، ونشاط في فطنة، ومراقبة في يقظة؛ هو الهدف الذي نصبو جميعاً الى بلوغه

ثم ان البعد الأخلاقي لرجل الأمن أيا كانت مهنته ورتبته هو الذي يعكس على مرآة النظام القائم تلك الصفات الحميدة التي يتحلى بها، اذ هو يمثله في حماية القانون وتنفيذه؛ وهو حجر الزاوية في السلطتين التنفيذية والقضائية؛ وهو نموذج للحكم في البلاد.

أخلاق الجهاز الأمني:

فأخلاق الجهاز الأمني من شرطة وغيرها تتمثل في نقاط ثلاث، يمكن تصنيفها كما يلي:

١ ـ أخلاق عامة يشترك فيها الناس جميعاً ولا سيما المسئولون المؤتمنون وأذكر جملة منها على سبيل المثال لا الحصر، كالصبر والحلم وسعة الصدر والنزاهة والعفة واستقامة السلوك وحسن التعامل والايثار وحب العمل والتواضع والاستعداد للتضحية والفداء والأمانة والقناعة والصدق وتجنب الشبهات وكل ما يوقع في الاثم والخطيئة واستغلال السلطة أو سوء استعمالها في التشفي والانتقام والسيطرة والاستبداد وغير ذلك من المساوىء التي تحط

من قيمة المسئول في نظر الناس، ولا تجعل له عندهم مكاناً للثقة والاحترام.

٢ ـ أخلاق يجب ان يتصف بها مسئول الأمن خاصة في الوقاية من الجريمة ومقاومتها، ودعم الأمن واستقراره، ويمكن حصرها في المبادىء الآتيه:

١ ـ الالتزام بحماية الشرعية وسيادة القانون:

وفاء للدولة التي أئتمنته على هذه المسئولية العظمى، وخدمة للمجتمع الذي لا يمكن بناؤه وتنميته الاَّ في ظل الأمن والاستقرار.

والمؤسسات الأمنية هي المعنية بالحفاظ على الأمن العام، وتركيز دعائمه في البلاد وضمان سلامته من أي خطر يهده بحسب مواقع الاختصاص، وبحسب الأحوال السائدة، والعمل على توسيع مفهوم الأمن الذي لم يعد مقتصراً على مطاردة الجريمة وملاحقة المجرمين، بل اتسع ليشمل مجالات أخرى كثيرة كالاستجابة للظروف الأمنية المتوقعة بأقصى ما يمكن من السرعة وتقليص ما يفصل بين المواطن والشرطة من المسافة والزمن توفيراً لحماية المواطن من كل ما يهدد أمنه على أي وجه محتمل، كما اتسع مفهوم الأمن ليشمل الجانب الاجتماعي والانساني وذلك بتطبيق القيم الأخلاقية، لانضباط السلوك العام في المؤسسة والشارع والمجتمع، الكبير ودعم مبدأ العمل بقواعد الشرعية القانونية الموكولة الى السلطة التنفيذية في الدولة، وفي مقدمتها اجهزة الشرطة.

فالشرطة العصرية تقوم بهذا الدور الذي يهدف الى التوفيق بين السلوك والقيم، بين عالم الواقع والمثال، بين حرية الفرد والتقاليد

الاجتماعية المحترمة وعليها حفظ المجتمع وحمايته من أي نشاز أو تحدّ أو تجاوز أو نزق، حتى لا تفتح فيه ثغرات تهدد سلامته من الظواهر الاجتماعية السلبية التي تمزق تماسكه، وتستهدف قيمه الدينية الخلقية ومن هذه الظواهر ما هو حادّ وخطير[1]

فقد رأينا من استهتار بعض السائحين رجالا ونساء بالتقاليد الاجتماعية المحترمة لدى كل شعوب الدنيا في البلد الذي يزورونه، ما لا يسمحون به لأنفسهم في أوطانهم ويشمل هذا المنع الأمني كل مظهر مشين يعبر عن استخفاف صاحبه بالقيم الأخلاقية وبالعادات المرعية التي يتمسك بها المجتمع.

وعندما نتحدث هنا عن أعوان الأمن فانما نتحدث بالاصالة عن قيادتها الرشيدة التي تحرس مسيرة الأمة بكل أمانة واقتدار، وترعاها بعين ساهرة لا تغفو عن الرقابة والتوجيه والعمل على تعديل أي سلوك ينذر بوقوع جريمة في المستقبل، وذلك بالتصدي لأسبابها وهي في المهد، وحسن تقدير الاحتمالات والمواقف التي من شأنها أن تعكر صفو الأمن والنظام بما ينتهك حرمة المجتمع المحافظ والمتطور ومعالجتها بحكمة وذكاء. لأن الرأي العام كثيراً ما يشعر بالحاجة الى المتطلبات التربوية المدنية التي تساعد على إرساء قواعد الأمن الاجتماعي بما يوفر للمواطنين أسباب الطمأنينة في حياتهم اليومية وفي علاقاتهم الانسانية، ويضمن لهم أسباب الرقي ونمو شخصياتهم وتكاملها في وئام مع محيطهم. ومن هنا ندرك مدى ارتباط الأمن الاجتماعي بالتربية المدنية اذ يعرف بها كل ما له وما عليه؛ ولا

---

١ ـ أنظر: مجلة «الأمن والحياة» العدد ٤٢. السنة الرابعة. حديث الفريق الركن عبدالهادي المجالي. ص: ١٢

يتعرض أحد من أفراد المجتمع الى اعتداء مادي أو أدبي من أفراد أو فئات شذوا وتنطعوا فعاثوا وعبثوا ونالوا من حقوق الآخرين.

والتكيف مع مقتضيات القانون والعرف والتقاليد المرعية في المجتمع يحتاج الى توعية متواصلة وارشاد مستمر في اطار التربية الاسلامية التي تحقق الأمن بمفهومه الواسع عن طريق حفظ الكليات الخمس التي هي عماد الأمن العام، والمتمثلة في حفظ العقيدة والعقل والعرض والمال والحياة.

واذا استقر الايمان في القلوب شاع الأمن في المجتمع وصار لكل فرد من أفراده رقيب من نفسه عليه في سلوكه ومواقفه وتصرفاته، حتى يتكون المناخ الأمني الذي تواصل فيه التنمية الشاملة مسيرتها وتحقق أهدافها، وذلك للصلة الوثيقة بين الأمن والتنمية.

والشريعة الاسلامية إذا سادت بأخلاقيتها وعقيدتها وعباداتها ومعاملاتها تتضاءل الجرائم، وتتقلص المآثم، وتخف الأعباء المالية الثقيلة التي تنفق على أجهزة الأمن لتوفر في خدمة التنمية ووسائل التقدم العلمي والرقي الاجتماعي والنهوض الاقتصادي. وأكثر مما تعانيه اليوم جلّ الأقطار العربية والاسلامية من تفاقم الجرائم وارتفاع نسبة الاجرام والمجرمين هو نتيجة لما تعانيه، ولا سيما شبابها من فراغ روحي رهيب وافتقارها الى الوازع الديني وبُعدها عن منهج الله القويم، فتردت الأوضاع وحلت الكوارث وانتشرت الأمراض، وأصيب أمنها بعنف الناقمين وفجور العابثين ومكر المنحرفين، ولم يبق للتربية المدنية التي ترافق تقدم المواطن ورقيه من أثر في النفس وفي المجتمع. وأصبح الدور الكبير في الأمن موكولا لحُماته وحدهم بمقتضى التزامهم بحمايته وحماية الشرعية قانونيةً كانت أم

اجتماعية عرفية فالنشاز عن البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد وينمو وينتفع منها بحق نشأته فيها وانتمائه اليها لا يسمح به للمارقين عنها ولا يترك لهم حماة الأمن اي فرصة للنشاز أو المروق أو التنكر لمجتمعهم في تقاليده وفي عقيدته وفي المبادىء التي يؤمن بها. فدور الجهاز الأمني هنا الاَّ يسمح لأحد س أبنائه بالخروج عنه والثورة عليه باسم التجديد والحرية والتطور، أو بمناهضته بتهمة الرجعية والتخلف والجمود كما نرى ذلك اليوم ـ مع الأسف ـ في بعض البلاد العربية

ان علماء التربية لا يفصلون التربية المدنية عن التربية في مفهومها العام اذ بالتربية المدنية والخلقية يكتسب الانسان أنبل الصفات التي تجعله كائناً اجتماعيا سوياً يقوم بواجباته نحو غيره، ويتعاون معه ويتعاطف. فكم من شاب في عنفوانه وفتوته يمنعه دينه ومروءته من الاستجابة للشهوة المحرمة رغم فتنة المغريات التي يعيش في تيارها وخضمّها.

وكم من فقير معدم تمنعه تربيته من أن يمد يده لمال الغير فيأخذه بغير حقه رغم شدة حاجته. وقد استطاعت المجتمعات الاسلامية في عصور ازدهار الاسلام ان تحل جميع مشكلاتها بحيث أصبحت أو كادت أن تكون المدينة الفاضلة بفضل ايجابيات الاسلام في كل ميادين الحياة ولا سيما الميدان الأمني الذي كان يستأثر بعناية القادة المسلمين في مختلف العصور.

الأخلاق المطلوبة في جهاز الأمن:

وانا لنجد في كتب السياسة الشرعية والقضاء والحسبة والتاريخ وفي غيرها س المصادر ما يبين أهمية خطة الشرطة والصفات الخلقية

التي كان يقع اختيار صاحب الشرطة على أساسها وعلاقته بالقضاء وبديوان المظالم وبالحسبة وبأصحاب الخراج وصاحب المدينة، ومشاهير أصحاب الشرطة من الصحابة والتابعين والقراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء ومن نال منهم القيادة أو الولاية أو الوزارة. وكذلك أعوان صاحب الشرطة ومجالات عملهم ودوريات الشرطة وأجهزتها والشروط التي تميزهم والأخلاق التي يجب أن يتصفوا بها والتي ترتبط بعوامل النجاح في مهماتهم.

وأذكر على سبيل المثال نماذج من ذلك:

ـ بعث مروان بن محمد الخليفة الأموي الى بعض من ولاّه برسالة حدد له في جزء منها الصفات التي يجب ان يختار على أساسها صاحب الشرطة جاء فيها:

«ولِّ شرطتك أوثق قوادك عندك وأظهرهم نصيحة لك، وأنفذهم بصيرة في طاعتك وأقواهم شكيمة وأمضاهم عزيمة وأصدقهم عفافاً، وأكفاهم أمانة وأصحهم ضميراً، وأرضاهم في العامة ديناً، وأحمدهم عند الجماعة خلقاً، وأعطفهم على كافتهم رحمة، وأحسنهم لهم نظراً وأشدهم في دين الله وحقه صلابة؛ ذا رأي وتجربة وحزم في المكيدة، له نباهة في الذكر، وصيت في الولاية، معروف البيت مشهور الحسب»[1].

كان أبو الحسين الكاتب يشترط في أصحاب الشرطة أن يكونوا عدولا في أنفسهم عالمين بما توجبه مراتب عملهم غير متعدين لرسوم

---

١ القلقشندي. صبح الأعشى. القاهرة. ١٠/٢١٥

أحكامهم، يرحمون المظلوم ويشتدون على الظالم، ويؤثرون الحق ولا يميلون مع الهوى ولا يشرهون على حطام الدنيا[1].

كما كانوا يشترطون في صاحب الشرطة بالاضافة الى مهارته في الكشف عن الجريمة والقبض على الجناة أن تكون له معرفة بأحوال الناس واطلاع على تصرفاتهم وسلوكهم وتعاهد في السر لأمورهم.

وفي الشمائل أن النبي (ﷺ) كان يسأل عما في الناس من المحاسن والمساوىء ليعامل كلا بمقتضى حاله ليدفع ظلم الظالمين، ويقوي الضعفاء ويسعفهم دون أن يقول عما فيهم حتى لا يكون غيبة، والسؤال هنا لا يقصد منه ذم أحد بما يعيبه، ولا يتجسس على أموره الباطنية التي يخفيها، وانما كان ذلك للأمور الظاهرة التي تناط الأحكام الشرعية والمصالح البشرية[2]

وقد نصح السبكي من يتولى البحث والتحقيق من الشرطة وغيرهم فقال: على الواحد منهم - إذا جهز في طلب أحد - السكون في الحركة، والرفق بمن يطلبه وحرام عليه أن يزعجه ويرعبه فان هو فعل فهلك أحد في الدار أو أجهضت حامل أو ارتجف أحد من الصبيان فهلك، فقد أوجب العلماء عليه القصاص.

وكان لعامل الشرطة بالاضافة الى سلطات اختصاصه في حفظ الأمن سلطة أخرى لا تقل عنه أهمية وتجعله أكثر صلة بالناس وعلاقة بهم في تعاملهم، وهي الحسبة التي هي خطة دينية نشأت مع نشأة الحكومة الاسلامية في عهد النبي (ﷺ) ومهمتها: الأمر بالمعروف

---

١ - أبو الحسن الكاتب. البرهان في وجوه البيان. بغداد ١٩٦٧ ص: ٣٦٩

٢ - عبدالرؤوف المناوي. شرح شمائل الترمذي. مصر ١٣١٧هـ. ٢/٢٠٤

والنهي عن المنكر والاشراف على نظام الأسواق ومراقبة المبيعات من المصنوعات وغيرها للتأكد من انعدام الغش والتدليس والتزييف، ومنع كل ما يخل بالشرائع والأخلاق والآداب[1]. وكان لصاحب الشرطة أعوان يختارهم ممن تتوفر فيهم الشروط التي يتطلبها عملهم من الخلق الكريم، والسلوك القويم، واستعمال ما يقتضيه الموقف من شدة أو لين مع سلامة الجسم والعقل والمزاج.

ويفيدنا تاريخ الشرطة في الاسلام أنه كلما حدث ما له انعكاسات على استقرار الأمن وراحة الناس، ازداد نشاطهم وتحركاتهم، ونظمت الدوريات التي كان رجالها يجوبون أنحاء المدينة من غروب الشمس الى طلوع الفجر؛ يتقدمهم حملة المشاعل في الليل ترويعا للصوص والعيارين وعشاق النهب والسلب قطعاً للفرص عليهم، وردآ لكيدهم، وتطمينا للناس. وكانت أكبر الدوريات وأروعها مظهراً تلك التي يرأسها صاحب الشرطة نفسه، وكانت تسمى «المواكب»[2].

السلبيات:

ومن السلبيات التي يجب على الجهاز الأمني توقيها والتي تنافي المبادىء الخلقية التي يجب التمسك بها عن ايمان واقتناع.

انتهاك حقوق الانسان:

وذلك باستعمال الوسائل التي تمثل اعتداءآ على كيانه المادي أو النفسي أو الأدبي، فلا يلقى القبض على متهم الاّ بظهور أدلة يبنى

١ - ابن القيم الجوزية. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية القاهرة ١٩٦١ ص: ٢٧٧

٢ - الجاحظ. البيان والتبيين القاهرة ١٩٤٨ ٣/١٤٦

عليها الاتهام، والشريعة الاسلامية تؤْثر ان يفلت جانٍ من العقوبة، على أن يقع مساس بحرية بريء أو بكرامته

روي أن قوماً من الكلاعيين سرق لهم متاع فاتهموا اناساً أتوا بهم الى النعمان ابن بشير رضي الله عنه، فحبسهم ثم أخلى سبيلهم. فأتوا النعمان وقالوا له: أتخلي سبيلهم بغير ضرب ولا امتحان؟ فقال النعمان: ان شئتم ضربتهم، فان خرج متاعكم فذاك والا أخذت من ظهوركم مثل ما أخذت من ظهورهم. قالوا: هذا حكمك! فقال: هذا حكم الله ورسوله ورفض الصحابي الجليل تعذيب المتهمين لحملهم على الاعتراف، لأن عجز المدعين من المواطنين أو الشرطة عن اقامة البينة مانع من اثبات التهمة وادانة أي كان، ما دامت البراءة هي الأصل.

ويدخل في ذلك الايقاف التحفظي، بحيث لا يكون الاَّ اذا توافرت مبرراته وألا تطول مدته بدعوى جمع المعلومات ومزيد التحري. ومن الاعتداءات على كيان الانسان أدبياً ونفسياً أن يُحمل بالعنف على افشاء ما يحافظ على كتمانه من أموره الشخصية المحضة، وكذلك الأسئلة الايحائية التي توقع المتهم في شبكة الاتهام من حيث لا يشعر، وان كان في الحقيقة والواقع بريئاً، وكذلك الأسئلة المطولة التي تؤدي الى ارهاق المتهم لحد الاضطراب، فيقول ما ليس في صالحه من غير وعي كامل، في حين ان القاعدة المعروفة في القوانين الجنائية أن الشك يفسر دائماً لفائدة المتهم، وأن المتهم بريء حتى تثبت إدانته.

فمن أخلاق رجل الشرطة ألا تقوده عواطفه في المحافظة على الأمن والنظام، فيتخذ بعض الاجراءات التي ترفضها الشريعة من

الوسائل العلمية الحديثة في طرق الاثبات، وتمنع استخدامها في نطاق الكشف عن الجريمة، لأن فيها اعتداء على الجانب النفسي في الانسان كالعقاقير المخدرة التي تفقد الانسان القدرة على التحكم في ارادته، وتجعله أكثر قابلية للايحاء والمصارحة بما يخفيه في حالة صحوه وشعوره، لأنها وسيلة غير مؤكدة علمياً للاثبات وكذلك التنويم المغناطيسي الذي يفتعل في الانسان حالة نوم غير طبيعي لتبقى ذاته اللاشعورية تحت سيطرة ذات خارجية هي ذات المنوم المغناطيسي، وكذلك استخدام جهاز كشف الكذب وهو جهاز يسجل التغييرات التي تطرأ على بعض الوظائف في جسم الانسان كضغط الدم والتنفس وضربات القلب وافراز العرق ونحو ذلك مما يكوِّن فيه انفعالا لاشعورياً ازاء بعض الأحداث أو الوقائع التي تثير في الشخص حساسية خاصة.

والشريعة الاسلامية تحظر لإقرار المتهم استخدام كل ما يسلب ارادة المتهم ويزيل عنها كل حرية وقدرة في الاختيار، لأن ذلك يدخل في باب الاكراه الملجىء كما حظرت كل وسائل التجسس على الأشخاص في غير الحرب، كتسجيل الأحاديث العادية التي تجري بين الناس ومراقبة المحادثات الهاتفية وكذلك تفتيش البيوت والمحلات الاَّ في الحالات التي ينص عليها القانون ولا سر التحريات أن تكون على حساب الحريات. وللشرطة المتخلقة بالأخلاق الاسلامية المتحضرة مندوحة عن مثل هذه الوسائل والطرق، باستخدام غيرها من الوسائل المشروعة حين تتجه شكوكها نحو بعض الأفراد في الجرائم سواء قبل وقوعها أو بعدها. لذا يجب ان

تتقيد بالاجراءات القانونية التي لا تنافي الأخلاق والتي تهدف الى حماية حرية الفرد من أي عدوان[1]

اخلاقية الجهاز الأمني بحسب الاختصاص:

ثم إنه بالاضافة الى الصفات الخلقية العامة التي ينبغي أن يتحلى بها جهاز الأمن الوطني في أي ميدان اختصاص، فان كثرة الميادين الأمنية وتشعبها في العصر الحديث لتفرض اخلاقاً معينة بحسب نوع الاختصاص. وترتبط هذه الأخلاق المطلوبة في التعامل لا مع الجمهور فحسب، بل مع مختلف الأجهزة الحكومية المعنية

آفة المخدرات:

وبالخصوص الحشيش والأفيون يتطلب من رجال مكافحتها مؤهلات خاصة يجب أن يعرفوها بكل دقة كالطرق التي يستخدمها المهربون بحراً وبراً وجواً، ومعرفة ما جدَّ من اتفاقيات دولية في التعاون على مقاومة المخدرات، وما صار يتدفق على المنطقة العربية من أوروبا وأمريكا اللاتينية، وما يواجهه رجال المكافحة على المستوى العالمي من مشاكل المطاردة المستمرة بمناطق الحدود، بحرية كانت أو برية طبقاً للاتفاقية الجديدة لقانون البحار، حتى ولو دخلت سفينة المهربين في البحر العالي الذي لا يخضع لسيادة أي دولة من الدول لأنه مفتوح للجميع، وكذلك معرفة مشكلة ما اصطلح على تسميته (بالتسليم المراقب) وهو شكل من أشكال التعاون، اذ تسمح به دولة بمرور المخدرات عبرها لكي تضبط في دولة أخرى كافة أفراد العصابة

١ آراء في الاعداد النموذجي لرجل الأمن. الحلقة العلمية الثالثة بحث العميد الدكتور زهير الزبيدي. دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. ١٤٠٨هـ.

الذين تولوا عملية التهريب، وخاصة الرؤوس المدبّرة وللممولين، ومشكلة انعدام قوانين عقابية موحدة في مكافحة المهرب أو التاجر أو المستهلك في البلاد العربية والبحوث الميدانية التي تفسر سبب تزايد الادمان على المخدرات للقضاء على أسبابها.

وهنا يتحتم التعاون بين المواطن والدولة، لأن المسئولية مشتركة في القضاء على هذه الآفة التي اذا انتشرت واستفحلت دمرت صحة المجتمع وأخلاقه وثروته عملا بقول تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾[1]

والخطر يكمن هنا في نقطتين يبتلي بهما الجهاز الأمني المختص بمدى إخلاصه في أداء الأمانة وسمو خلقه الذي يأبى عليه الطمع في المال الحرام، أو المناصب الرفيعة، وذلك لأنه لا شيء يدر أصحابه أرباحاً لا مثيل لها في أسرع وقت وبأيسر السبل ـ لو نجحوا ـ مثل هذه التجارة الخاسرة في الشريعة والقانون والأخلاق.

وقد رأينا في بعض البلاد العربية أن مهربي المخدرات ومروّجيها يحاولون أن يشركوا معهم في تلك الأرباح الخيالية الطائلة بعض كبار المسئولين الذين يختارونهم ويغرونهم سواء من الجهاز الأمني أو من غيره، حتى يستروا عليهم ويتيحوا لهم فرصاً أكثر لتنفيذ خطتهم

---

١ سورة المائدة. الآية: ٢

ونجاحهم فيها. فالتعاون مع هؤلاء المجرمين طمعاً في المال الوفير، أو بلوغ أسمى الرتب في الوظيفة الأمنية بالنسبة لبعض الأعوان الصغار الذي يغضون الطرف، ولا يبلغون ما يرون من مشاركة أحد المسئولين الكبار في هذه الأعمال الاجرامية، هو عندي من خيانة الأمانة التي حذرنا الله منها في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾[1] بل هو من الخيانة العظمى للأمة والوطن.

فمن أمانة المسئولين عن هذا القطاع وأخلاقهم أن يجدّوا ويجتهدوا في البحث عن الوسائل الجديدة التي يبتكرها هؤلاء الأشرار الذين هم إخوان الشياطين باجرامهم في حق الانسانية، والذين تعتبر الشدة عليهم في الأحكام رحمة بالانسان.

فالتعاون الجمركي بين الدول ضرورة ملحة في حياتنا المعاصرة كالعناية بالشحن في المطارات والموانىء التي يجب أن يهتم بها الأمن العام، والعناية بالتفتيش في ضوء التقدم التكنولوجي والعلمي.

فتطوير الأجهزة الأمنية في بلادنا العربية والاسلامية عامل أساسي يحول دون دخول الممنوعات والمحرمات حفظاً لأمن المواطن ودرءاً للأخطار التي تهدد المجتمع.

---

١ ـ سورة الأنفال. الآية: ٢٧

وكذلك الشأن بالنسبة لمراقبة جوازات السفر فلابد أن تكون للقائمين من رجال الأمن والجمارك بهذه المهمة العظيمة المزيد من اليقظة والتحري والانتباه والاخلاص للتعرف على ما هو مزوّر أو مدلس من تلك الجوازات، وان تكون لهم كفاءات مرتفعة بما اكتسبوه من خبرات عملية عن طريق الدورات التدريبية.

وبقدر ما تكشف الأجهزة الأمنية عن أساليب المهربين والمدلسين تكون كفاءتهم في المهنة عالية، فان رفع المستوى الثقافي والخلقي والاجتماعي والفني لجهاز الأمن عامل أساسي في نجاحه

أما رفع المستوى الفني فيحصل بتدريب المسئولين كلٌّ في نطاق اختصاصه بأحدث النظم التقدمية في العالم المصنّع على التعامل مع الأجهزة الأمنية الحديثة والقدرة على استخدامها واستعمالها بدقة وإحكام من أجل الانتفاع بما وصلت اليه العلوم الحديثة في الميدان الأمني ومن بينها: الانجازات والتطورات التي تشهدها إدارة الجوازات، وذلك للدور التي تضطلع به في الكشف عن عمليات التزوير وما تنجم عنها من أحداث خطيرة تزعزع الأمن.

فكم من مجرم سياسي يتسرب الى بلد ما، بجواز سفر مدلّس ليقوم بجرائم التصفيات البدنية، أو يتسلل الى بلد آخر لتنفيذ خطة اجرامية، أو يقوم باعمال ارهابية، أو يتصل بعصابة سرية تعمل ضد أمن الدولة الداخلي أو الخارجي، أو نحو ذلك مما يهدد الأمن العام ويسيء في الوقت نفسه الى وطنه، فيشوه سمعته ويحط من مكانته، فأخلاقية المسئولين في الموانيء والمطارات على فحص الجوازات تتمثل أيضاً في شدة حرصهم على اتقان عملهم بما لا يدع مجالا للمجرمين السياسيين وغير السياسيين، لتنفيذ خططهم وبلوغ أغراضهم

الدنيئة، ولكن من الحكمة وحسن الخلق أن يميزوا في حصافة وحذق ذوي الشبهات من المسافرين عن غيرهم، حتى لا يسيئوا الظن بكل مسافر وتظهر آثار ذلك في تصرفاتهم معهم، فتترك في نفوسهم أسوأ الذكريات والانطباعات بما حصل لهم من استفزاز واثارة بدون مبرر، وقد قال النبي «ﷺ»: ابتسامتك في وجه أخيك صدقة

وقد نظم المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في ١٤ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ (الموافق ٥ يناير ١٩٨٥م) دورة تدريبية حول التزييف والتزوير، كانت تهدف الى تزويد الضباط العاملين في الجوازات بالمعلومات الحديثة المتقدمة الكفيلة بتحسين مستوى العاملين في هذا القطاع الأمني الهام، والأساليب التي يستخدمها المزورون في تزوير الوثائق والمستندات، وبالخصوص الوثائق الثبوتية ووثائق السفر والتعريف بأحدث المعدات الفنية لكشف عمليات التزييف والتزوير وتنمية قدراتهم على اتخاذ الاجراءات المناسبة لهذا الصنف من الجرائم التي انتشرت في العالم، وكذلك الالمام بخلفيات علم مقارنة الخطوط وحماية الوثائق والمستندات من التزييف الذي يعتبر اليوم من أخطر الجرائم أيضاً لما ينتج عنه من جرائم أخرى، واضاعة حقوق، أو كسب مغانم بوجه غير مشروع.

ومن المجالات الأمنية الأخرى التي لها جوانبها الخلقية المرتبطة بخصائصها الفنية في العمل والتنفيذ:

نظام المرور:

الذي أصبح في عالم اليوم من أهم المشاكل التي يجب التفكير في أنجع الحلول لها، سيما حوادثه التي تزهق الأرواح وتشل الطاقات عن العمل بما تحدثه في الانسان من سقوط مستمر وما تخلفه من مآس.

واحصائيات هذه الحوادث تزداد نسبتها سنة بعد أخرى وكأنها آثار حرب ساحقة. فقد أثبتت الاحصائيات أن حوادث السيارات تزهق في كل عام عشرات الآلاف من الأرواح عدا ما تخلفه من ذوي عاهات والعجز ويعدون بالملايين. والأخلاق التي تتطلبها مجابهة هذا المشكل الذي تواجهه المدن الكبرى في العام وضع الحلول العلمية له لحماية الانسان والممتلكات والحد من أخطار المرور وهي مشتركة بين المواطنين وأجهزة الأمن المختصة

ولتونس دور رائد في التوعية والتوجيه للحد من نسبة الحوادث، وقد انعقد الاجتماع الأول لمديري المرور العربي بتونس من ٢٧ الى ٢٩ يونيو ١٩٨٥م.

بالاضافة الى التوعية المرورية الميدانية والمعرضية التي تتوفر فيها وسائل الايضاح في تطبيق علاقات المرور بالنسبة للراكبين والراجلين. واستعمال حزام الأمان في السيارة، والتقيد بالقواعد الصحيحة، والتخفيض من السرعة في الأماكن التي يتحتم فيها ذلك واجراءات الانقاذ عند وقوع حادث. فهنالك مجالات أخرى تشترك فيها الأخلاق للتخفيف من حوادث المرور ومن أهمها:

تقوية شعور السائق بالمسئولية سواء بالنسبة الى شخصه عملا بقوله تعالى: **﴿ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة﴾**[1] أم الى غيره من راكبي سيارته أو من المارة عملا بقوله: **﴿خذوا حذركم﴾**[2] فالآية وان وردت في خصوص حالة القتال مع العدو، لكنها تعلمنا ان الأمر بأخذ الحذر ليس الا لتحقيق أسباب الأمن من العدو والانتصار

١ - سورة البقرة. الآية: ١٩٥

٢ - سورة النساء. الآية: ١٠٢

عليه. وفيه تعليم المسلمين أن يطلبوا المسببات من أسبابها. لأن الله اذا أراد أمراً هيأ أسبابه

ومن أسباب الوقاية من حوادث المرور بالنسبة الى السائقين الحذر من الانزلاق عندما يتساقط رذاذ من المطر ويصبح الطريق مغطى بقشرة رقيقة ملساء، ومن السرعة التي تفقد السائق القدرة على استخدام الكابح فجأة عند المفاجآت، ومن ضآلة الضوء الذي ينير الطريق ليلا، فتضعف الرؤية البعيدة المناسبة لسرعة السير، ومن شدة حرارة الطقس التي قد تتسبب في انفجار احدى العجلات.

فهذا الحذر من السائق واجب تفرضه الأخلاق. وانما أوجب الله الكفارة على القتل الخطأ، ويشمل حوادث المرور، لتكون زجراً، ولئلا يعطل حق الله في ذات القتيل باعتباره عبداً من عباده، ويرجى من نسله من يقوم بعبادة الله وطاعة دينه لذلك ألزم الله القاتل صيام شهرين متتابعين مع الدية ليتوب عليه فيما أخطأ، لأنه أخطأ في عظيم. وربما دخل في عمد الخطأ. ولو لم يشرع ذلك له لعاقبه على أسباب الخطأ التي ترجع الى تفريط الحذر والأخذ بالحزم والحيطة.

ويدخل في المسئولية الخلقية عدم تسامح الخبراء الذين يجرون على المترشحين للحصول على رخصة القيادة اختبارات نظرية وتطبيقية لا يجوز فيها التسامح فضلا عن الارتشاء فيما يهدد حياة الناس بالخطر

فرخصة القيادة التي يمنحها الخبير المؤتمن لمن لا يستحقها، هي كالسلاح الذي يعطى للمجنون، أو لمن لا يحسن استعماله. فربما يصاب به غيره من غير قصد. وأمن الطريق في مراقبة سلامة المرور موكول الى ضمائر شرطة المرور، كما أن أمنه في مراقبة الجسور

واصلاحها وحسن تصميم منعرجات الطريق بما يضمن السلامة من الخطر كل ذلك مما يدخل في مسئولية الدولة على أمن المواطن في هذا الميدان.

وهنالك مجالات أمنية أخرى لها خصائصها الفنية والخلقية معاً يضيق هذا البحث عن استيعابها ولأهل الذكر والاختصاص جولات علمية وفنية كبيرة فيها، ولكن الذي يجب أخذه بعين الاعتبار لأخلاقية الجهاز الأمني في مختلف الميادين الأمنية، هو التعرف على خصائص كل وجه من أوجهه الكثيرة والوسائل الموصلة الى تحقيقها، ثم على أسباب اختلاله وانحرافه في كل ميدان، وسبل التوقي من هذه الأسباب المخلة به في مجتمعاتنا وتوزعها على كل من الجمهور والدولة والجهاز الأمني مما يجعل الترابط أمراً محتوماً لا مناص منه ذلك ان من القضايا ما يكون فيها الاشتراك والتداخل واضحاً جلياً. ويعني ذلك أن الواجب الديني والوطني يحتم عليها ان تتعاون جميعاً على أساس من الثقة والاحترام المتبادل، لأن خطأ أي عنصر من هؤلاء العناصر الثلاثة قد يسيء الى الأمن، ولا يبريء ساحة العنصرين الآخرين أو احدهما من مسئولية ما حدث، ولو كانت بالنسبة اليهما ثانوية

ولعل من المفيد ان نزيد في توضيح هذه الحقيقة بالمثال: فالمواطن الذي يستهدف أخطر أنواع الغزو الفكري والمغريات التي تسلبه ارادته فينحرف ويتهافت على الجنس والكأس والمخدرات ولا سيما الأحداث والشباب ولم يكن له من نفسه واعظ ولا رقيب، يصبح عنصراً خطيراً على المجتمع، ويثقل مسئولية رجال الأمن لدرء أخطاره ومنع اجرامه.

فمَن المسئول عن تفاقم مثل هذه الانحرافات في ناشئينا منذ نعومة أظفارهم حتى ينشأوا ويشبوا على فعل الخير وخوف الله؟ أليس للنظام القائم دور كبير في بناء المدارس وتوجيه الاعلام وانشاء المؤسسات التربوية والاجتماعية واعداد مناهج التعليم ونشر المبادىء والقيم الاسلامية التي تهذب الأخلاق الفضيلة وتنفي العنف والتطرف والمغالاة وعدم المبالاة؟

ثم ان أجهزة الأمن التي لم يكن اختيارها موفقاً، ولا تكوينها سليماً، ولا توعيتها بمسئولياتها كافية قد تسيء الى المواطن بسوء تصرفها ومواقفها غير المسئولة، وجهلها وتخلفها، فتمس بحقوق الانسان التي لا يمكن لأي كان أن يتنازل عنها الاَّ اذا تنازل عن إنسانيته.

فمن شرطة المرور مثلا من يعمد الى ايقاف سيارة بدعوى أن السائق ارتكب مخالفة من مخالفات المرور، كالسرعة أو المجاوزة الممنوعة، فينهال عليه ثلباً وشتماً وتأنيباً، في حين أن دوره هنا ليس تأديبياً بل توجيهياً فعليه أن يبين للمخالف نوع المخالفة، ويطبق الاجراءات القانونية دون أن يتجاوز ذلك الى معاقبته، لأنه ليس من شأنه.

ومن واجب رجل الشرطة في أي ميدان أن يلتزم بآداب الحديث ويتجنب إثارة ما يؤذي المواطن في مشاعره أو معتقده، وما يوحي بالتعالي والتكبر، وليكن أكثر اصغاء وأقل كلاماً

فكل المظاهر السلبية لرجل الأمن كاساءة استعمال السلطة والظلم والتحيز والتعسف أو سوء المعاملة وتقديم المصالح الخاصة على المصلحة العامة، انما تتحمل مسئولياتها وتبعاتها أيضاً القيادة

الادارية الأمنية التي من مهامها ان تبعث اهتمام أعوانها بالعمل وحسن الأخلاق، وتدفع الى اتقان عملهم بالاخلاص والعمل والخبرة ورفع المعنويات، وتوفير الحوافز المعنوية والمادية، وغير ذلك مما يشجعهم على زيادة الانتاج والعطاء والبذل بنشاطهم وتفكيرهم ومهارتهم.

ويظهر تداخل المسئولية بين المواطن والأمن والحكم جلياً في انتشار بعض الجرائم الناجمة عن اهمال الجانب التربوي الذي يكوِّن الرأي العام المثقف الواعي، وانعدام العدل والعدالة الاجتماعية، ووجود العسف والظلم في غياب الشورى والديمقراطية، واستعمال أبشع وسائل التعذيب عند تقرير المتهمين، ولا سيما حين يتبين أن الاتهام باطل من أساسه وليس له ما يبرره من أدلة وقرائن أو مستندات يعتدّ بها القانون في الاثبات.

وفي مثل هذه الأحوال لا يستقر نظام، ولا يوقف اجرام، ولا يستتب أمن، فيصبح الوضع العام في البلاد متأزماً من كل جانب، ولا يمكن تحديد سبب الخلل في طرف واحد، لأن الدور والتسلسل يصير بهما ذلك الخلل كحلقة مفرغة لا يدري أين طرفاها كما يقال. ومن أهم ما ينبغي لجهاز الأمن أن يوفره لضمان نجاحه في أداء مهامه:

التعاون مع الجمهور والمؤسسات:

إذ أن طبيعة العمل الأمني شاقة وشاسعة تتطلب علاقة طيبة بين حفَظة الأمن وحماته وبين الجمهور والمؤسسات العامة.

فعلى الأمة العربية والاسلامية ان تنهج هذا المنهج، وأن تتخذ

المبادرات الصالحة لبناء هذه العلاقة على أسس متينة، لأن رجل الأمن هو من الشعب والى الشعب، وكذلك تكون السلطة القائمة في البلاد، فكلهم يتحملون ـ على اختلاف وتفاوت ـ مسئولية الحفاظ على الأمن ولا يجوز أن يبقى المواطن طرفاً ثانياً ودوره كدور المتفرج وكأن الأمر لا يعنيه، بل يجب أن تزول كل الحواجز التي من شأنها أن تفصل بينهما وتجعل كليهما ينظر الى الآخر نظرة الخصم الى خصمه. ولم لا يعتبر المواطن جهاز الأمن درعاً واقيا له من كل أذى وعدوان، أو واسطة خير بينه وبين السلطة لايصال همومه وآلامه وطموحاته وآماله اليها حتى تذلل كل الصعاب وتزول كل العقبات التي تعرقل مسيرة الأمة في بناء المستقبل الأفضل.

ولكن أنّى لهذه النظرة القديمة الموروثة أن تتحول اذا كانت المعوّقات الحائلة دون تحقيق هذا التعاطف والتعاون المنشود قائمة؟

إن من أكبر عوامل البقاء لهذه العقدة التي يجب أن تزول، سوء الظن من المواطن، والعسف من رجل الأمن. واذا كان التعسف في طلب الحق محظوراً في الشريعة الاسلامية، فحظره من باب أولى عند تنفيذ القانون وتطبيق الاجراءات. اذ من أسباب الجفاء نحو رجال الأمن اساءة بعضهم بالفعل أو القول او الاشارة الى من ارتكب مخالفة بسيطة عن حسن نية وتعنيفه دون اعتبار لشخصه ولنوع المخالفة، مما يدل على ضيق أفقه وعدم التمييز بين واجباته وبين حقوق الفرد، في حين انه مسئول عن احترامها وصيانتها كما هو مسئول عن النظام والأمن العام في الوقت نفسه.

فهنالك توازن لابد من اعتباره بين واجبات المواطنين وحقوقهم وبين واجبات الشرطة وحقوقهم، ولن يحصل هذا التوازن الا بالملاءمة عند التطبيق بين الحقوق والواجبات من الجانبين.

وهذا يتطلب توعية مستمرة للمواطن بحقوقه وواجباته وبحقوق الآخرين عليه وواجباتهم ازاءه، واعدادا نموذجياً لرجل الأمس في الآن نفسه باعتباره مثالا وصورة حية للنظام.

فقد يسيء الجاهل الشرس بحمايته إلى سمعة الدولة من حيث أراد الحرص على أداء واجبه والحزم في القيام به بطريقته الشخصية؛ وكل ذلك يمكن أن يتم في حصافة وكياسة وأدب، دون أي تجاوز من شأنه أن يترك أثراً سيئاً في نفس المواطن.

ولا ننسى أن ممّا يتردد بيننا في عصرنا ما تنعت به عبارة «نظام بوليسي» بعض الأنظمة الدكتاتورية وقد يقال ذلك باطلا بسبب تصرفات غير مسئولة من لدن بعض الأعوان بما يصدر عنهم من عسف وقهر، ومن استخفاف بحقوق المواطن وكرامته، واستعمال وسائل تعزيرية أو تأديبية غير مشروعة، أو فقد الضمانات الكفيلة باحترام حقوق الانسان، التي تفرضها العدالة والديمقراطية، لأن علامة الحكم الديمقراطي احترام الحريات الأساسية، ومنع تجاوزها إلّا لضرورة تفرضها مصلحة الوطن، أو أمن الجماعة، كاتخاذ اجراءات حاسمة ضد فرد مشبوه فيه أو متهم من ذوي السوابق في جريمة خطيرة؛ بحيث لا يجوز تقييد حرية الفرد بلا مبرر يوجب ذلك، ولا منحه حرية بلا حدود تنال من أمن المجتمع وقيمه المعتبرة.

ولعل من أهم عوامل الكراهية والقطيعة بين الشرطة والجمهور ما بقي في بعض النفوس من رواسب عهود الاستعمار البغضية التي كانت فيها الشرطة تمتهن كرامة الأحرار، وتسكت أصوات الداعين الى الحرية المطالبين بالحق المشروع، فلا تتواني عن استعمال كل

وسائل الكبت والقمع والتعذيب، وعندما استقلت هذه البلدان، وأصبح الحكم والسلطة بيدها لم يبق أي مبرر لاستمرار القطيعة والجفوة ما دامت أهدافهم واحدة، وهي استتباب الأمن وحماية مكاسب الأفراد والمؤسسات من أي عدوان داخلي أو خارجي، سيما وقد اتسع المفهوم الأمني في العصر الحديث، وكثرت مجالاته، وتنوعت مهماته، وصار أمن الفرد من أمن المجتمع، وأمن المجتمع من أمن الوطن، وأمن الوطن من أمن الأمة العربية والوطن العربي الكبير الذي يواجه تحديات تمس كل قطر عربي، ولا يمكن أن تقام على انفراد، بل بخطة استراتيجية عربية في الدفاع المشترك لصد أي عدوان يهدد مكاسب الأمة وأمنها وسيادتها.

ولن نكون قادرين على أن نخمد نيران هذه الفتن، ولا أن نتغلب على التحديات في قضايانا المصيرية الكبرى، ولا أن نضع حداً للحرب التي تستنزف قوانا المادية والمعنوية الاَّ بتنقية الأجواء العربية من كل الخلافات المفرقة لوحدة الكلمة، عملا بقوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[2].

وقوله (ﷺ) في حجة الوداع «ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا. وكحرمة شهركم هذا وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم .»

وهذا التعاون لا يتحقق الاَّ في ظل الوحدة والوئام. والارادة العربية هي القادرة وحدها على بلوغ هذا الهدف لتحصين الوطن

١ ـ سورة آل عمران. الآية: ١٠٣

٢ ـ سورة الأنفال. الآية: ٤٦.

العربي وتطويق المجرمين أينما حلوا وحيثما ارتحلوا، ومنع الجريمة، لأن المجرمين لا يعرفون وطناً.

كما ان التعاون الأمني الوطني بين المواطنين والشرطة لا يتم على النحو الذي نأمله وننشده الاّ بتنمية الثقة بينهم وازالة الأسباب التي أسهمت في تشويه صورة رجل الأمن لدى المواطن، واعتبار ان ربط الصلات الودية بينهم مما تمليه المصلحة الوطنية العليا في إزالة الحواجز والعوائق التي حالت دون تحسين العلاقة التي لم تصل بعد الى المستوى المأمول، ذلك ان التغطية الأمنية المطلوبة في جميع الميادين تكاد تكون اليوم مستحيلة بدون هذا التعاون التي يحتمه اتساع مجال العمل الأمني وتنوعه، وتعذر الاحاطة بما يجري في مكان آهل بالسكان، ما لم يكن فيه من المواطنين الواعين غيرة دينية ووطنية وشجاعة أدبية، ويقظة وحيوية، لينيروا سبيل الشرطة في البحث عمن ارتكب جريمة في حيهم، وتعريفهم بمن يتوقعون أنه المجرم من المنحرفين أو الدخلاء عليه من ذوي الشبهات والسوابق. فهم عيون ساهرة مع الشرطة على سلامة حيهم وأمنه

ومما يعزّز هذا التعاون ويوطد العلاقة وسائل الاعلام المختلفة بما تبرزه من جهود الشرطة في الكشف عن وكر عصابة ارهابية تروّع الآمنين بما تقترفه من جرائم السطو والحرابة والاغتصاب والسرقة وغيرها.

ولا يعزز هذه الرابطة مثل الأخلاق التي تجعل المواطن يتشرف بأن يسهم هو بدوره في جهود الشرطة الرامية الى ما يكفل سلامة مجتمعه وأمنه وما يلمسه منها بالفعل، وهي تؤدي واجباتها الأمنية

بصفة عفوية، لاستتباب الأمن واعانة الضعيف وحمايته، ومواساة المنكوب ومساعدته، واسداء شتى الخدمات الانسانية.

وكم من أعمال يقوم بها رجل الأمن فتبدو بسيطة، ولكنها عظيمة بما تتركه من أثر طيب في نفوس المواطن، كأن ينقذ مستجيراً مهدداً بالموت، أو يفك أسيراً أو اسيرة من قبضة فاجر قبل أن يتمكن من الاعتداء، أو ينجد جريحاً أو غريقاً بالاسعاف السريع، أو يأخذ بيد شيخ أو مريض أو كفيف في ازدحام حركة المرور فيقطع به الطريق ويوصله الى الرصيف، أو يرجع شيئاً ثميناً الى صاحبه الذي سرق منه، أو نحو ذلك من الأعمال الانسانية التي تدعم الصلات الأخوية وتغرس في النفوس حب الخير والفضيلة، وان بدت في ظاهرها صغيرة، لأنها مما يدخل في نشاطه وعمله اليومي لكن آثارها الباقية كبيرة في النفوس.

ومن عوامل ربط الصلة الودية بين المواطن ورجل الأمن انشاء النوادي الثقافية والأدبية للشرطة في المدن، والافساح للراغبين في الاشتراك في عضوية الأندية لتتوثق الصداقة بين المواطنين والعاملين في أجهزة الأمن.

ويجب أن تعمل كل الأقطار العربية والاسلامية على رفع هذه الحواجز، وازالة هذه العقدة الموروثة والمتمكنة لأسباب سلبية في الظاهر، اذ هي توحي بان رجل الشرطة:

ـ يمنع الناس أحياناً من فعل ما يريدون ويتدخل للحد من حرياتهم الشخصية.

- يدافع عن السلطة ويحميها ضد رجل الشارع.
- يعتقل الناس ويطاردهم ويستخدم أحياناً العنف والسلاح ضدهم.
- هو في الأغلب شخصية قاسية فظة لا تليں، ويصعب التفاهم معه باللين.
- يتصدى للمظاهرات بالهروات والقنابل المسيلة للدموع والرصاص أيضاً عند الاقتضاء.

أما الخدمات الجليلة التي يقوم بها والتضحيات النبيلة التي يقدمها في سبيل أمن الوطن والمواطن فرغم كثرتها وتنوعها تبقى مغمورة يجهلها الناس. ومن واجب الاعلام بمختلف طرقه أن يعرّف بها وليس ذلك من باب الدعاية أو الدفاع أو الرياء، بل لتعزيز الأمن العام وتشجيع الساهرين على حفظه واستقراره، فيبين للمواطنين من حين لآخر أن رجل الأمن هو الذي:

- يحافظ على أمنهم وراحتهم وسلامتهم، وقد يضحي بحياته وهو يؤدي رسالته الأمنية، فيقتله اللصوص والمهربون والمحاربون والمنحرفون وغيرهم من المجرمين الخطرين.
- يرعى النظام بالقانون، ويساعد على تنظيم الحياة في المجتمع، ويحمي المصلحة العامة، ويمنع الأشرار من الاضرار بها.
- ينظم حركة المرور ويسهل سيرها في الشارع، ويساعد على تجنب الحوادث، ويهبّ الى نجدة المواطن كلما طلب ذلك منه أو أصابه مكروه، وينقل المرضى المصابين الى المستشفى عند الضرورة.
- يرشد المواطن ويعينه ويدله على ما يسأل عنه أو يصعب عليه بلوغه[1]

---

١ - أنظر: مجلة الشرطة الأردنية. العدد ١٤١ سنة ١٤٠٦هـ.

ولتغيير هذه العقلية التي أصبحت ترى غير السلبيات في أجهزة الأمن، ولا ترى الايجابيات رغم وجودها يجب عليها أن تظهر للجمهور في صورتها المشرقة المشرفة من الأناقة والنظافة وحسن الخلق والرحمة والحيوية ولا تشتد وتقسو الاّ على المجرمين والخارجين عن الجماعة والنظام، حتى يكونوا دوماً محل تقدير ورعاية واحترام س السلطة والجمهور على السواء.

وعلى السلطة المعنيّة بهذا القطاع الهام في الدولة أن تحسن اختيار الأمناء الشرفاء، وتقوم بتوعيتهم أمنياً وخلقياً واجتماعياً، حتى يكونوا في المستوى المأمول.

المراجـــــــع

■ الكتب:

١ ـ آراء في الاعداد النموذجي لرجل الأمن. موضوعات الحلقة العلمية الثالثة. بحث العميد الدكتور زهير الجويعد الزبيدي. دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض: ١٤٠٨هـ.

٢ ـ الاتجاه الأخلاقي في الاسلام. الدكتور مقداد يالجن. القاهرة. ١٩٧٣م.

٣ ـ البرهان في وجوه البيان. أبو الحسن الكاتب. بغداد ١٩٦٧م.

٤ ـ البيان والتبيين. أبو عمرو عثمان الجاحظ. القاهرة. ١٩٤٨م.

٥ ـ شرح شمائل الترمذي. عبدالرؤوف المناوي. القاهرة. ١٣١٧هـ.

٦ ـ صبح الأعشى. القلقشندي. القاهرة. بدون تاريخ.

٧ ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية. ابن القيم الجوزية. القاهرة. ١٩٦١م.

■ الدوريات:

١ ـ مجلة «الأمن والحياة» أمن المجتمع العربي أمن متكامل. حديث الفريق الركن عبدالهادي المجالي. العدد ٤٢. السنة الرابعة. دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض: ١٤٠٦هـ.

٢ ـ مجلة «الشرطة الأردنية» العدد ١٤١ ١٤٠٦هـ.